دراساتٌ لغويّة:

ضمنية المقال في عدول لفظ الجلال من الإضمار إلى الإظهار "سورة الطلاق أنموذجا": دراسة دلالية

The implication of the article in the amendment of the name of God from the prejudice to the manifestation "Surat Al-Talaq" as a model

Implikasi artikel dalam perubahan nama Allah dari prasangka terhadap manifestasi "Surah Al-Ṭalāq" sebagai model

أحمد إبراهيم بني عطا*

مُلخَّص البحث:

هناك دلالات ضمنية إضافية في كتاب الله –عزَّ وجل– لا نستطيع أنْ ننكرها تتراءى بطرائق عديدة، منها: عدول لفظ الجلالة من الإضمار إلى الإظهار؛ حيث جاءت هذه الدراسة لتكشف عنها من أوساط الأحكام الشرعية التي رسخت ونظمت العلاقات الأسرية في سورة الطلاق، ومن مواضع العدول لأمن اللبس، ورصد الألفاظ والصِّيغ التي استؤثر فيها الإظهار، وإبراز مباعث ابتداء التصريح باللفظ الجليل، والمواطن التي اقتضت ذلك التصريح في آيات الخلق، والوقوف على التآلف والانسجام بين القضايا الأسرية التي تعالجها السورة واستئثار الإظهار، والقراءة الإحصائية؛ لقياس إمكانية العدول عن الضمائر المنفصلة، والمتصلة، والمستترة، والمشاكلة بين استعمال ضمير الغيبة والأحداث التي قامت عليها السورة، وبديع تخيُّر الصِّيغ الفعلية وتضامها مع الاسم الأعظم، ورصد صور التَّضام الاسمي، وتضام نواسخ التوكيد النَّاصبة مع الاسم الجليل، والدلالات الإضافية الناتجة عن ذلك؛ أما المنهج الذي انصرفتْ عليه الدراسة فيقوم على الإحصاء والاستقصاء. وخلصت الدراسة إلى أن إظهار لفظ الجلالة في سورة الطلاق يتجلى مع الحدود الشرعية الكلية والخاصة؛ لإقرار تقواه وحضور الخوف منه –جل وعلا– لا سيما أن الإظهار يتعانق مع مظاهر عظمة الله –عز وجل– كخلق السماوات والأرض، وإحاطته بعلم كل شيء، وفي مواطن التهديد والوعيد، والقضايا الأسرية الحساسة؛ لأنه يقلقل النفس ويحركها اتجاه فطرتها.

---

* أستاذ اللغة والنحو المشارك قسم اللغة العربية، كلية الآداب جامعة الجوف المملكة العربية السعودية.

البريد الالكتروني: Bani_ata2@yahoo.com

أرسل البحث بتاريخ: ٢٠٢١/٢/٥م، وقبل بتاريخ: ٢٠٢١/٥/٢م.

الكلمات المفتاحية: دلالة، عدول، ضمني، ضمير.

Abstract:

There are additional implicit connotations in the Book of God - Glory be to Him - which we cannot deny. They appear in a number of ways, among them is the change of the glorious name of God from being implicit to becoming explicit. This study aims to reveal it through studying verses on the Islamic legal rulings that established and organized family relations in Surat Al-Talaq and the words that are used in the explication. It seeks to clarify the reason of explicating the name of God and the conditions that need it in the verses on creation. It studies the cohesion and coherence in the verses on the family relation in the said surah and the influence of explication. This is to measure the possibility of leaving the detached, attached and implicit pronouns in addition to the mixture of the third-party pronouns and the events that the surah is based on. It is also to measure the creative use of the verbal structures and their combinations with the name of God. The study will trace the forms of nominal combinations, the combination of some prepositions with the name of God and the additional meanings as the result of that. The study uses statistical method. Among the findings of the study is that the explication of the name of God in surah al-Ṭalāq appears within the limitations that are general and specific in nature in order to establish the feeling of piety and fear of God specifically as the explication is reflective of the characteristics of the greatness of God such as the creation of heavens and earths, His encompassing knowledge and the promises and warnings, the sensitive kinship relationship as they are the factors that invoke the soul towards its natural state.

Keywords: Meaning, Inclination, Implicit, soul

Abstrak

Terdapat konotasi tersirat tambahan dalam Al-Quran yang tidak dapat kita nafikan. Ini dalapat dilihat di dalam beberapa bentuk, di antaranya adalah perubahan nama Allah dari yang tersirat menjadi bentuk yang tersurat. Kajian ini bertujuan untuk mengungkapkannya melalui kajian ayat-ayat perundangan Islam yang menjalin dan mengatur hubungan sesama keluarga di dalam Surat Al-Ṭalāq dan perbendaharaan kata yang digunakan dalam menjelaskan hubungan tersebut. Ini bertujuan untuk menzahirkan nama Allah dan syarat-syarat yang memerlukannya dalam ayat-ayat berkenaan penciptaan. Ini juga akan membolehkan kita mengkaji hubungan dan kesesuaian dalam ayat-ayat mengenai hubungan keluargaan dalam surah tersebut dan pengaruh penzahiran nama Allah tertsebut. Ia juga adalah untuk mengukur kesan meninggalkan gantinama yang tidak bercantum, yang tersirat sebagai tambahan kepada kata ganti nama pihak ketiga dalam konteks peristiwa yang terdapat dalam surah tersebut. Ini juga untuk mengukur sejauh mana kesan penggunaan kreatif struktur verbal dan gabungannya dengan nama Tuhan. Kajian ini akan menelusuri beberapa bentuk kombinasi nominal, gabungan beberapa preposisi dengan nama Allah dan makna tambahan yang timbul sebagai kesannya. Kajian ini juga menggunakan kaedah statistik. Antara penemuan kajian ini adalah bahawa penjelasan nama Allah dalam surah Al-Ṭalāq muncul dalam batasan-batasan yang bersifat umum

dan khusus untuk mewujudkan perasaan takwa dan takut kepada Allah secara khusus. Penzahiran nama Allah itu bertujuan untuk mencerminkan ciri-ciri kebesaran Tuhan seperti penciptaan langit dan bumi, pengetahuan-Nya yang merangkumi janji-janji dan peringatan serta hubungan kekeluargaan yang amat penting untuk dijaga kerana kesemua ini adalah faktor-faktor yang mendorong jiwa untuk menuju kepada keadaan fitrahnya.

Kata kunci: Makna, Kecenderungan, Tersirat, jiwa.

مقدمة

القرآن الكريم بما لا يدع أيَّ مجال للتوهم والارتياب هو رأس البيان وسنام العلم، ومنهل المرتشف لا يجف ولا يتناقص بتواتر النَّاهلين، به فضل عظيم وإنعام جليل لكل مدرك مبصر على تباين مشربه، فقد كان أعمدة اللغة والأدب أول الدارجين والعاكفين في تأطير معايير اللغة والبلاغة بالركون إليه، وتجلية مكامن ما غمض واستتر من أسراره ودلالاته، ومن المعهود في لسان العربي قصد الاقتضاب، وعدم التَّوسع والإسهاب إلا لغاية يُطمح إليها؛ فيُعمد إلى المضمر للإحالة الذهنية والسياقية، ولو أراد المتكلم غرضا آخر كإظهار المضمر فإنَّما هو مدعاة لمشيئة يسمو إليها من خلال السياق حتى تنال شيئاً من نفس المتلقي، وتجلت تلك الظاهرة في القرآن الكريم بشكل واضح وبما تحمله من دلالات ضمنية مقصودة لنفسها، التفت إليها اللغويون والأدباء، بالدراسة والبحث.

وأما علماء البلاغة، فقد تعرضوا لهذه الظاهرة تحت باب الخروج عن مقتضى الظاهر، في حين وسمه علماء التفسير بـ: "وضع المظهر موضع المضمر" أو باب "الإظهار في مقام الإضمار".

وبيَّن ابن الأثير الاختلاف بين الدلالات الضمنية المتوارية والدلالات السطحية المترائية في باب الحكم على المعاني إذ قال: (اعلم أنَّ الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل كقوله تعالى: ﴿ثيابك فطهر﴾، فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس ومن تأوّل ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس وهذا لا بد له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ)،[1] ويفرق الجرجاني كذلك في **دلائل الإعجاز** بين المعاني التأويلية والمعاني الظاهرة التي (تعنى بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة وبمعنى المعنى أن تعقل من اللفظ معنى، ثم يفضي بك ذلك المعنى إلى معنى آخر)،[2] فكثيرا ما نرى الألفاظ اللغوية وعاء فضفاضاً يزخر بالاستدعاءات النفسية والقيم السياقية المقالية والمقامية.[3]

دأب العربي على تسيير حديثه موافقا فيه حال المتلقي، فلا يسرف إذا أوفى الإجمال بالقصد، ولا يقتضب في افتقار السامع للتوسع والإسهاب؛ إذ يضع اللفظة موضعها الذي تقتضيه، ثم يرتكن إلى الضمير في كلامه معولاً على فهم السامع وإدراكه، ولا ينسحب إلى إظهار إلا لبواعث عنده، وقد لاقت هذه الظاهرة اهتماماً كبيراً من قبل الدارسين والباحثين، لا سيما أنها تتخطى تقدير المستمع وترقبه، وهذا المسلك بحد ذاته وجه من وجوه التشويق وجماليات النَّص، وإثارة الوعي واليقظة عند المتلقي، وحافز له على الاستبصار والتأمل في كينونة العدول.

وقد أثار الرازي –رحمه الله– هذه الظاهرة ومبعثها، بقوله: (وأمَّا تلطيف الكلام فهو أنَّ النفس إذا وقفت على تمام كلام فلو وقفت على تمام المقصود لم يبق لها شوق إليه أصلاً؛ لأنَّ تحصيل الحاصل محال، وإن لم تقف على شيء منه أصلاً لم يحصل لها شوق إليه، فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون

البعض فإن القدر المعلوم يشوقها إلى تحصيل العلم بما ليس بمعلوم فيحصل لها بسبب علمها بالقدر الذي علمته لذة، وبسبب حرمانها من الباقي ألم فتحصل هناك لذات وآلام متعاقبة، واللذة إذا حصلت عقيب الألم كانت أقوى، وشعور النفس بها أتم إذا عرفت هذا فنقول إذا عبر عن الشيء باللفظ الدال عليه على سبيل الحقيقة حصل كمال العلم به فلا تحصل اللذة القوية، أمَّا إذا عبر عنها بلوازمها الخارجية عرف لا على سبيل الكمال فتحصل الحالة المذكورة التي هي كالدغدغة النفسانية، فلأجل هذا كان التعبير عن المعاني بالعبارات المجازية ألذ من التعبير عنها بالألفاظ الحقيقية).[٤]

ويعد العدول في القرآن الكريم من الظواهر الأسلوبية عظيمة الشأن في الدرس الأدبي واللغوي، ومن المعهود أنَّ المتلقي يتطلب منه إعمال الفكر والتأمل كلفة عالية حتى تتبدى له تلك الأسرار الدلالية المتوارية الحاصلة بالعدول، والكشف عن أسرار هذا الانسحاب من الأنماط الاعتيادية إلى النمط غير الاعتيادي غير المتوقع من قبل السامع، يُلمح إلى أسلوب الالتفات، وعدول المتكلم عن كنايات الألفاظ بالضمير مع وجود القرينة الدالة، والتَّصريح بالاسم مرة أخرى، ظاهرة كلامية ينتهجها العربي في حديثه، وأولاها علماء العربية عناية فائقة؛ حيث عنوا بتتبع مواطنها، والاهتداء إلى أسرارها الدلالية، وتضمن كتاب الله –عز وجل– أمثلة كثيرة على هذا النمط الأسلوبي (العدول)، ولعل سورة الطلاق إحدى سور القرآن الكريم التي وقع الاختيار عليها لدراسة هذه الظاهرة الأسلوبية فيها؛ إذ اتسمت عن غيرها من سور القرآن الكريم بتضمن أكثر آياتها لاسم الجلالة "الله".

وفي معرض هذا الحديث يتعرض محمد أبو موسى لهذه الظاهرة القرآنية من خلال موافقتها لكلام العرب؛ حيث قال: (وهناك ضرب من وضع الظاهر موضع المضمر يراد به مع هذه الخصوصية تقرير المظهر، وتمكينه في القلوب، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾؛ حيث سبحانه قال:﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾ بعد ذكر لفظ الجلالة، وآثر المظهر على الضمير؛ لأنَّ للفظ الجلالة بمدلوله الكريم وقعاً عظيماً في القلوب، والمراد تمكين الألوهية، وإشاعة هيمنتها في الضمائر، وخذ المصحف واقرأ فيه من أي موضع تشاء تجد هذا الأسلوب، وكأنه أصل من أصول البلاغة القرآنية، تجد أسماء الله الحسنى، وخصوصاً هذا الاسم الأعظم الذي يقع هذا الموقع في كثير من الجمل القرآنية لينساب نورها الغامر في القلوب، وتشيع مدلولاتها فتتمكن من النفوس زيادة تمكن، وتتقرر في السرائر أحسن قرار، وبذلك تتربى مهابة الحق وحده في الأمة التي يربيها القرآن، فلا يكن في صدرها خشية إلا لله وللحق).[٥]

وقد فقه علماء العربية دلالة الكلمة وما تلقيه من ظلال، وتحدثه في النفس من أثر، لا يتمكنه الضمير ولا يستطيعه، فالكناية بالضمير لا تفعل في الذهن ما يفعله التصريح والاستظهار، فبالضمير استحضار للعائد عليه واستدعاء في النفس، إلا أنَّه يتبدد من وحيه وتأثيره قدر رحيب، يظل المظهر محملا به يتدفق في أوردة النص بعلائقه التي أصابته من خلال قصته الطويلة مع بقية الكلمات، ولا سيما جرسه الأخاذ الذي يقرع السمع، وما يحدثه من استجابات وخواطر لا يَهَبُها الضمير.

وعليه جاءت هذه الدراسة **ضمنية المقال في عدول لفظ الجلال من الإضمار إلى الإظهار** للكشف عن ظاهرة العدول في سورة الطلاق، ولتجلية المعاني الضمنية الحاصلة عنه دراسة دلالية، ومحاولة الوقوف على التوزيع التكاملي للاسم الجليل وتكراره في السورة، وما يؤديه من دلالات ضمنية، وما تحمله تلك الدلالات من إضاءات تتحقق بالإظهار، يمكن الخلوص من خلالها إلى أحكام يسهل سحبها على هذه الظاهرة عموما في القرآن الكريم.

وقد اتسمت سورة الطلاق عن غيرها من سور القرآن الكريم بتضمن أكثر آياتها لاسم الله الأعظم، وتعدد ذكر لفظ الجلالة في السورة خمسا وعشرين مرة، بالنِّسبة لعدد آياتها البالغ اثنتي عشرة آية؛ فكان ذلك مبعثا لرصد هذه الظاهرة في سورة الطلاق؛ لاستظهار بعضٍ من لطائف التصريح للاسم الجليل، وتوظيف المعالجة الإحصائية للتوصل إلى المعاني الضمنية التي اشتملت عليها الآيات من خلال عرض عدد تكرارات المظهر، والمضمر، ومواضع تضامّ الأفعال والأسماء والنواسخ مع الاسم الجليل؛ للخروج بنتائج تعلل الحقائق الدلالية الضمنية التي تولدت عن ظاهرة العدول في سورة الطلاق، وعليه جاءت هذه الدراسة في مبحثين: الأول اللطائف الدلالية الضمنية بعدول لفظ الجلالة من الإضمار إلى الإظهار في الأصول والأحكام، والثاني اللطائف الدلالية الضمنية بعدول لفظ الجلالة من الإضمار إلى الإظهار بالتضام والتكرار.

أولاً–مفهوم العدول لغة واصطلاحاً:

إن البحث في كتاب الله – عز وجل– وتدبر معانيه يستوجب دراية ومعرفة لسانية لاستطاعة تفكيك المفردة وتموضعها في السياق القرآني، ولعل الغاية من العدول في الخطاب القرآني هو البرهنة للسامع ومحاججته؛ إرادة الإقناع والفاعلية ودفعه إلى التفكر في آياته.

وجاء في معجم **مقاييس اللغة**: (عَدَل: العين والدال واللام أصلان صحيحان؛ لكنَّهما متقابلان كالمتضادين أحدهما يدلُّ على استواء والآخر يدل على اعوجاج)،[٦] وفي **كتاب العين**: (عِدْل الشيء: نظيره... والعَدْل أن تعدل الشيء عن وجهه فتميله... وعَدَلت الدابة إلى كذا: أي عطفتها فانعدلت، والعدل الطريق... والانعدال: الانعراج)،[٧] وفي **اللسان**: (وعدل الشيء يعدله عدلاً، وعادله: وازنه، وعادلت بين الشيئين، وعدلت فلاناً بفلان؛ إذا سويت بينهما... وعَدَل عن الشيء يعدل عَدْلاً وعدولاً، وعن الطريق حاد، وعدل إليه عدولاً: رجع،... وفي الحديث: (لا تعْدِل سارحتكم)؛ أي لا تُصرف ماشيتكم وتُمال عن المرعى ولا تمتع... والعَدْل أن تعدلَ الشيء عن وجهه، تقول: عَدَلْت وعَدَلت الدابَّة إلى موضع كذا ، فإن أراد الاعوجاج نفسه قيل: هو ينْعدِل أي يعوجُّ، وانعدل عنه وعادل اعوجَّ).[٨]

ويتبين من تتبع مفهوم العدول في بعض المعاجم اللغوية ائتلاف المادة اللغوية على معانٍ، منها: التحول، والانحراف، والميل، والانصراف، وهذه المعاني ترتبط ارتباطا وثيقا بالمعنى الاصطلاحي للعدول، كما جاء عند تمام حسان بأنه: (خروج عن الأصل، اكتسب في الاستعمال قدرا من الاطراد رقي بهما إلى رتبة الأصول التي يقاس عليها).[٩]

ويُعدُّ العدول من الأساليب التي درج العربي على استعمالها وعدا عليها في كلامه، فشاعت في المؤلفات البلاغية واللغوية والنحوية عند القدامى، وقعدوا لأنساقه وصنوفه فتعددت مسمياته، وتعالق مفهومه عندهم –على الأرجح– بالتوسع في المعنى.

فكان سيبويه أولَ من وظف مفهوم "العدول" وأراد به "الاتساع"، والسعة عنده يشير بها إلى "المجاز".[١٠] والمجاز تجاوز للأصل وهذا التجاوز نمط من أنماط العدول، وهو ميل بالدلالة عن الحقيقة لغاية؛ وتنكَّب عددُ من البلاغيين من بعده هذه المقاصد، فوظف عبد القاهر الجرجاني "الاتساع" بهذه الدلالة في مناقشاته للكناية والاستعارة والمجاز،[١١]وسار على هذا النمط — العدول بمفهوم المجاز– معمر بن المثنى فقد عدَّ العدول أو الانحراف عن مقتضى الظاهر مجازا،[١٢] فاقتصر أبو عبيدة في وصف المجاز على كونه نمطاً من أنماط العدول.

واقتفى ابن قتيبة هذا السبيل؛ حيث قال: (وللعرب المجازات في الكلام، ففيها الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير والحذف)،[١٣] فهو يرى أنَّ العربية درجت على هذه الأبواب؛ لأنَّ لها من الاتساع في المجاز ما ليس لسائر اللغات. ووظف ابن جني مفاهيم "العدول" و"الانحراف" و"الخروج عن الأصل" للاشتغال في قضايا الانسحاب الدلالي من الحقيقية إلى المجاز، وتجلت هذه المصطلحات في باب شجاعة العربية.[١٤] وبيّن ابن فارس أنَّ العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب، في قوله: (أين لسائر اللغات من السعة ما للغة العرب).[١٥]

ومن خلال ما سبق يتضح أنَّ العدول عند اللغويين والنحاة يقوم على الانسحاب من أصل مثالي، إلى نموذج جديد يطرد في الاستعمال ويتحقق به التوسع في المعنى.

أمَّا البلاغيون ومنهم عبد القاهر الجرجاني فقد قرن العدول باللفظ، في قوله: (فالقسم الأول: الكناية والاستعارة والتمثيل، وكل ما كان فيه على الجملة مجاز واتساع وعدول باللفظ عن الظاهر).[١٦] وهذا يدور وبشكل صريح في فلك المعنى الذي نقصده. ويتفق كذلك مع مفهومه في حد المجاز اللغوي بأنّه: (من جاز الشيء يجوزه؛ إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز، على معنى أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولا).[١٧]

وعليه يمكن القول: إنهم قدَّروا أصلاً مثالياً مستنبطاً من استقراء كلام العرب، وجعلوه ضابطاً للعدول، وأطلقوا عليه مسمى "أصل الوضع"، ووصفوا كل انسحاب عنه وانحراف بالعدول.

ومن أشهر المفاهيم التي تدور عند القدامى والمحدثين وتتضمن ظاهر العدول: الاتساع، والمجاز، والتحول،[١٨] والانحراف، والتجويف، والخروج، واللحن،[١٩] والنقل والانتقال، والرجوع، والالتفات، والصرف، والانصراف، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية، والحمل على المعنى.[٢٠] فجميع هذه المفاهيم تتضمن فكرة العدول من أصل وضع إلى انحراف خاص.

أما فكرة العدول في القرآن الكريم، فلا يمكن القول بأنها انحراف عن العربية بقدر ما هي توظيف مثالي لتلك الصروف البلاغية وإمكانياتها اللغوية والنحوية، فالعدول في القرآن الكريم هو النظام اللغوي نفسه في أسمى معاييره البلاغية لإيفاء المعاني وتسديدها، وهو بذلك أحد صور الإعجاز، وسر التحدي.

ثانياً– لطائف عدول لفظ الجلال من الإضمار إلى الإظهار في الأصول والأحكام:

١. آيات الأحكام:

- **قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾.**[٢١]

من يتجاوز حدود الله التي حدّها لخلقه فقد أكسب نفسه وزراً، فصار لها ظالما، وعليها متعدّيا،[٢٢] وهو إظهار في مقام الإضمار لاختلاف هذين المركبين بالعموم والخصوص، ولتهويل أمر هذا التعدي، وظلمها بالدنيا بتعريضها لعواقب سيئة، وظلمها في الآخرة بتعريضها للعقاب المتوعد به، وجيء في هذا التحذير (بمن) الشرطية؛ لإفادة العموم، فيدخل في ذلك أحكام الطلاق والعدة.[٢٣]

وجاء لفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ﴾ حدوده الكليَّة، على تقدير "حدوده" في موضع ضمير الجر المتصل، وتقدَّمه قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ مخصوصة بطلاق النِّساء وعدتهن، وحكم إخراجهن من بيوتهن، فاستظهر اللفظ الجليل باستصحاب الأحكام الكلية والخاصة؛ لإفادة خشيته –عز وجل– في السريرة والعَرَض، وبعض الأحكام الخاصة يصيبها الخَبَأ وينتابها الستر، فتصير طائعة، ويسهل مَرامها بتفويتها وإخفائها كالعدة عن طلاق؛ فعلمها مقصور على الزوجين، على غير العدة عن وفاة التي يتسنَّى إحصاؤها إبَّان وقوعها، فتُخِيِّر الإظهار للاسم الجليل لرقابته – عز وجل– في جميع حدوده، والتهويل من عقابه–جل وعلا– بظلم الإنسان لنفسه بتجاوز وتعدَّي تلك الحدود، ولا سيما جرسه الأخاذ الذي يقرع الأسماع، وما يحدثه من استجابات وخواطر لا يَهَبُها المضمر.

واستؤثرت الآيتان الكريمتان بموقعهما بين اسم الإشارة "تلك" وتفيد معنى البعد، والاسم الموصول "من"، وتلك "تي" للمفرد المؤنث، اسم إشارة مؤنث لغير العاقل "البعيد النسبي"، وهو مكون من اسم الإشارة "تي" قصرت فيه الياء وأدخلت عليه لام البعد وكاف الخطاب.[٢٤]

فمعنى البعد محض في اللام يوجه بها الزمن نحو المضي، ويتمدد بدخول كاف الخطاب؛ ليُقرب بها البعيد، فتصدق الأحكام على كل زمان، فالأحكام والحدود، قصة حديثة بالنسبة لوقت النزول في السورة، ولكنَّ الخطاب الرباني بَعَّد زمنها باسم الإشارة، وعلى الرغم من ذلك تمضي أحكامها سائغة للإمساك بها وتطبيقها. فزمن الحدث الأول في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ﴾ يتغاير مع زمن الحدث الثاني في قوله: ﴿**وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ**﴾ فلما تباين الزمان في معاني الأحداث، بفعل اسم الإشارة، وتمدد البعد واتسع في دلالة اللام، وما قد يسوقه من الغفلان؛ استلزم التصريح باسمه –جل وعلا– للحض والترغيب برقابته.

- **قال تعالى: ﴿لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾.**[٢٥]

الأمر الذي يحدثه الله أن يقلب قلبه إلى محبتها، ومن عزيمة الطَّلاق إلى النَّدم عليه، فيراجعها، والتحريض على طلاق الواحدة والنَّهي عن الثلاث، فإنَّه إذا طلق أضر بنفسه عند الندم على الفراق والرغبة في الارتجاع، فلا يجد عند الرجعة سبيلا،[٢٦] وقد اقتضى السياق الإظهار للفظ الجلالة في موضع الإضمار على تقدير "لعله" منعا للبس؛ إذ جاءت تلك الآية الكريمة في إثر قوله سبحانه: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾، فمنزلة الحديث عن الحدود والظلم، وبالإضمار في "لعل" ينكفُّ السمع عن لفظ الجلال، فيصير المعنى على تأويل "أنَّ الذي ظلم نفسه لعله يحدث بعد ذلك أمرا"، وبالتَّساوق مع القاعدة النَّحوية في عودة الضمير إلى أقرب مذكور، يكون عائدا إلى " الظالم نفسه" فآثر الإظهار للفظ الجلالة.[٢٧]

"لا تدري": لإطلاق نفي علم الغيب، ودرايته، حتَّم الالتزام بحدوده – عزَّ وجل– في الطلاق، و"لعل" تقتضي رجاءه بالله وتوكله عليه. والقَدر بعلمه – عز وجل – وقدرته، يرفعه ويبدله من حال إلى حال، فيُحْدِث خلاف ما يتوقعه ويخمنه الإنسان بعلمه؛ كأن يحبب زوجه إليه بعد كره، وهو فعل مرتهن بالتوكل عليه – عز وجل– وبإقامة حدوده، فخُصَّ الإظهار للاسم الجليل؛ لتشاكله مع المعاني الغيبية، وللزوم تعلُّق الإنسان بالله — عز وجل– وإيمانه بالقَدَرِ خيره وشره.

وبتعقب الألفاظ التي صُرّح معها بالاسم الجليل يتضح أنَّها محصورة في ألفاظ وعبارات: "التقوى، والحدود، وعلم الغيب، وأحوال القدر" وكلها معان تستأثر الإظهار، فأساس التقوى الخشية من الله وحده، ولما تنازعتها النفس بالخوف من غيره جل وعلا، استظهر الاسم الجليل، والحدود السماوية تتنازعها الحدود الوضعية، فأُظهر اسم الجلالة للحصر ولإفادة التهويل والتخويف من عقابه – عز وجل– حال تجاوزها.

وأُظهر لفظ الجلالة مع القصر على الاستطاعة والقدرة المطلقة لله في الإحلال والاستعاضة لأمر الإنسان، وللمغايرة بين ما يحدثه الله وما يحدثه البشر، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَّا

أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ﴾،[٢٨] فما يحبب الزوج إلى زوجه إلا الله، إحداث للأمر وتغيير للقدر يستوجب الإظهار؛ لكيلا يتوهم متوهم القدرة لغير الله.

تدبير لا يعلمه "المطلِّق" بقوله: "لا تدري" وإطلاق لنفي علمه ودرايته بالغيب، وإظهار لعلم الله بإظهار لفظه؛ توافق مع علمه –عز وجل– وتعطيل لعلم الإنسان؛ ولهذا عُدل عن المظهر مع "المطلِّق" في قوله: "لا تدري"، وعدل عن المضمر مع "الله" في قوله: "لعل الله".

والمقصود الإشارة إلى أهم ما في العدة من المصالح، وهو ما يحدثه الله من أمر بعد الطلاق؛ أي أمرا نافعاً لهماً. والخطاب في قوله: "لا تدري" لغير معين جار على طريقة القصد بالخطاب إلى كل من يصلح للخطاب، ويهمه أمر الشيء المخاطب به، ولعل كلمة "لا تدري" تجري مجرى المثل؛ فلا يراد مما فيها من علامة الخطاب ولا من صيغة الإفراد إلا الجري على الغالب في الخطاب وهو مبني على توجيه الخطاب لغير معين[٢٩].

فحلول لفظ الجلالة في سياق هذه الآية الكريمة في أربعة مواضع بالإظهار يرشد إلى التمسك بحدوده وأوامره عز وجل، واجتناب نواهيه، والتعلق بأمره.

- **قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾.**[٣٠]

في هذه الآية الكريمة جاء اسم الجلالة في موقع ضمير الخفض المتصل، فيها اسم الإشارة يعود إلى "اللائي يئسن، واللائي لم يحضن، وأولات الأحمال" وأحكام الله – عز وجل – فيها، على تقدير "ذلك أمره"، وبهذا تتساوق مع الآية التي قبلها ﴿**يَجْعَل لَّهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً**﴾، فصار المعنى على تقدير يجعل له "من أمره" و "ذلك أمره" وهذا يفضي إلى التحول عن المعنى المراد، وانصرافه من أمر الله إلى أمر الإنسان، فاستحال اسم الإشارة من الأحكام المتعلقة بالنِّساء إلى أمر المتقي لله في قوله: "من أمره"؛ فاستظهر لفظ الجلالة؛ لإعادة احتباس اسم الإشارة على أحكام النساء.

- **قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾.**[٣١]

لا يكلف نفساً إلا وسعها، وفيه تطييب لقلب المعسر؛ ولذلك وعده باليسر[٣٢] إظهار في موقع ضمير الرفع المستتر، على تقدير "لا يكلف نفسا إلا ما آتاها" جاءت في إثر قوله: ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾، بإظهار لفظ الجلالة رغم استظهار المعنى وحصوله بالإضمار وبإظهاره مع الفعل "آتاه". وبالمقاربة بين الآيتين نجد أنَّهما تتماثلان بفعل "الإنفاق والتكليف"، ولفظ الجلالة، والاسم الموصول "ما"، وفعل "الإتيان" وهذا التماثل في المكون البنائي يُمكِّن الإضمار في الثانية؛ لأنَّ الأولى تعضدها في البنية التركيبية والدلالية وتبينها، ورغم ذلك التماثل، فقد اصطفى الله –عز وجل– إظهار اسمه الأعظم في موضعه، إظهار بمثابة الرقابة على الأفعال والسلوك، وتذكير للعبد الذي قُدِر عليه رزقه، في أن يتقي الله في الإنفاق.

فقوله تعالى: ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ حكم خاص في النفقة الواجبة على المطلقة قبل انقضاء العدة، وعلى الولد الذي ترضعه، أما قوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ حكم عام مطلق يتأكد بقوله: "نفسا" أي كل نفس. فأتت الآية الأولى بتقييد التكليف والإنفاق، وجاءت الثانية على إطلاقه، فلمَّا تغاير الحكمان استؤثر الإظهار.

وتجدر الإشارة إلى أنَّ الإضمار لا يتآلف مع خاتمة الآية وهو "الإتيان" أي الرزق والعطاء، فهو من صفاته –عز وجل– وأفعاله، فلا توافق بين الاستتار واستبانة صفة من صفاته العظمى، ولهذا جاء الإظهار لغاية الائتلاف بين الصفة والموصوف، وإحكام التعالق بين المظهر وخاتمة الآية.

٢. آيات القدرة والإحاطة:

- **قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ومن الأرض مِثْلَهُنَّ﴾.**[٣٣]

دل على كمال قدرته وأنه يقدر على البعث والمحاسبة[٣٤]، إظهار في موضع ضمير الرفع المنفصل على تقدير "هو الذي خلق سبع سماوات"، معنى محصور في خلق السماوات السبع والأرضين، ولو أضمر لثبت المعنى وتبدى كحاله مع الإظهار؛ فخلق السماوات والأرض تكوين إلهي، لم يعدل فيه عن الإضمار لمنع اللبس، بقدر ما هو إبانة لعظمة الخالق وبديع صنعه؛ ولهذا استوجب التصريح باسم الله الأعظم، لاسيَّما أنَّ الابتداء بإظهار لفظ الجلالة أبْين من الكناية عنه بالضمير؛ فلو عدل عن الابتداء بالمظهر إلى المضمر، لانشغلت النفس بعظمة المخلوق وفاتها عظمة الخالق، فجاء الإظهار في موضع الإضمار لتسريح الأذهان في العظمة والجلال لخالق السماوات والأراض بالتدبر والتفكر في عظيم صنعه جل وعلا.

وانفصال الضمير في أوائل الآيات في السورة يباعد توافق الدلالات بينها وبين نهاياتها، وقد يؤدي إلى افتقار التآلف بين المقدمات وفواصل الآيات، وسياق الآيات في السورة الكريمة يقوم على المواءمة بين الصفات التي استأثر الله بها نفسه في فواتح الآيات وما جاءت عليه خواتيمها، ويظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ ومن الأرض مِثْلَهُنَّ﴾؛ إذ افتتح الآية بالتصريح بلفظ الجلالة وختمها بقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وبقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾، فالتَّصريح بالاسم الجليل ابتداءً يتناسق مع طبيعة التَّغاير بين التذييلين، فتقدمت صفة القدرة لتعلقها بالابتداء والنَّشأة، وتأخرت صفة الإحاطة، ترتيب يتناسب مع خطاب الإنسان وقدرته المحدودة، وعجزه أمام قدرة الله.

وبعد أن جرى ذكر شئون من عظيم شئون الله تعالى ابتداء من قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ﴾، فقد تكرر اسم الجلالة وضميره والإسناد إليه زهاء ثلاثين مرة فاقتضى المقام عقب ذلك أن يزاد تعريف الناس بهذا العظيم، ولما صار البساط مليئا بذكر اسمه صح حذفه عند الإخبار عنه إيجازا.[٣٥]

- **قال تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾.**[٣٦]

إظهار في موضع ضمير النَّصب المتصل، يتعانق مع مظاهر عظمة الله – عزَّ وجل – كخلق السماوات والأرض، وإحاطته بعلم كل شيء، وجلالة تستدعي الإظهار وتناسب يتوافق مع حض النفس الإنسانية وإثارتها على التدبر والتأمل في خلق الله، وما توارى من إبداع وإحكام، ولهذا ائتلف الإظهار مع دلالة السياق القرآني، واقتضى الإظهار لمناسبة المظهر والإضمار لمناسبة المضمر؛ (لأنَّ خلق تلك المخلوقات العظيمة وتسخيرها وتدبير نظامها في طول الدهر يدل أفكار المتأملين على أن مبدعها يقدر على أمثالها فيستدلوا بذلك على أنه قدير على كل شيء؛ لأنَّ دلالتها على إبداع ما هو دونها ظاهرة، ودلالتها على ما هو أعظم منها وإن كانت غير مشاهدة، فقياس الغائب على الشاهد يدل على أن خالق أمثالها قادر على ما هو أعظم. وأيضا فإن تدبير تلك المخلوقات بمثل ذلك الإتقان المشاهد في نظامها، دليل على سعة علم مبدعها وإحاطته بدقائق ما هو دونها، وأن من كان علمه بتلك المثابة لا يظن بعلمه إلا الإحاطة بجميع الأشياء)[٣٧] ولهذا اطَّرد الإظهار للفظ الجلالة مع ما انبلج وتجلى من مخلوقاته، لتتمكن وتترسخَ في نفوسهم عظمة الله، و ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ وليعلموا أنَّه عز وجل– خالق للماثل المترائي، وللخفي المتواري ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ علم بالظاهر والباطن، وإحاطة مطلقة في علم كل شيء، فأحاط بكل شيء علما لاستحالة صدور هذه الأفاعيل ممن ليس كذلك)؛[٣٨] لذلك فلا يخرج شيء عن علمه وقدرته والمعنى: أنَّ مما أراده الله من خلقه السماوات والأرض، أن يعلم النَّاس قدرة الله على كل شيء وإحاطة علمه بكل شيء؛[٣٩] ولهذا اقتضى العدول من الإضمار إلى الإظهار.

ويتبدى الإظهار لاسم الجلالة في موطن عرض قدرة الله –عز وجل– وما يتبع ذلك من إحاطته بعلم كل شيء، كما تضمَّن الخطاب تأكيداً بـ: "علم" فالإحاطة بالشيء علم فيه، وقد حمل الأسلوب تأكيداً ثانيا بوساطة "أنَّ" وذلك لتمكين المعنى في نفس السامع، فالإظهار يتآزر مع بيان عظمة الله والوقوف على بديع خلقه، كخلق السماوات والأرض، وإتمام الآية بالإظهار للفظ الجلالة أخلق في جعلها سائغة للتمثل بها في موطن العلم والإحاطة.

- **قال تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾.**[٤٠]

قال الراغب في مفرداته: (فعل الله ضربان: ضرب أوجده بالفعل، ومعنى إيجاده بالفعل أنه أبدعه كاملا دفعة لا تعتريه الزيادة والنقصان إلى أن يشاء كالسماوات وما فيها. ومنها ما جعل أصوله موجودة بالفعل، وأجزاءه بالصلاحية، وقدَّره على وجه لا يتأتى منه غير ما قدره فيه كتقديره في نطفة الإنسان

لأن يكون منها إنسان دون حيوان آخر)،[41] وتكون من قبيل وضع كل مفعول لفعل قدر ما تتحمله طاقته واستطاعته أو يتحمله وعيه لما يكد به ذهنه من مدارك وأفهام.[42]

تباين المعنى في متانته، وتناسق دلالته سياقيا لا يعني بالضرورة مكنته؛ إذ قد يستحكم المعنى وتشتد قوته جزالة وحصافة بالأوجه البيانية كالتقديم والتأخير، أو الحذف والإضافة، والإضمار والإظهار، فالاتساق ضرورة حتمية تستلزم السياق، فقد يكون المعنى متوافقا في تقديم اللفظ، ولكن في تأخيره أكثر مناسبة واستحقاقا، وهكذا الحال مع الإضمار؛ إذ قد يتأتى التناسب الدلالي والسياقي مع الإظهار أكثر منه في الإضمار؛ ولهذا جاء لفظ الجلالة في موضع ضمير الرفع المستتر في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾، وفي **اللسان**: جعل: خلق وصنع،[43] فقصر دلالة الفعل على الخلق والصنع اقتضى الإظهار.

وبتعقب الآيات القرآنية التي تضمنت الفعل "جعل" في سورة الطلاق نجد أنَّه ورد في ثلاثة مواضع، وهي: قوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْراً﴾، وقوله تعالى: ﴿يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً﴾ بمعنى: صيَّر وبدل حاله، فأضمر، وقوله تعالى: ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْراً﴾ بمعنى: خلق، فأظهر؛ ولهذا اقتضى فعل الخلق والصنعة الإظهار للفظ الجلالة؛ بينما اقتضى فعل التصيير الإضمار. فالبُرء من العدم أبدع وأجدر أنْ يتيه الإنسان أمامه ويبهت، فأظهر اسم "الله" مع الصُّنع العظيم إظهار الجلالة والمهابة والتعظيم، وأضمر مع فعل التصيير. والشيء الذي أوجده الله خليق به – جل وعلا– أن يغيَّر أحواله، ولما جاء الفعل "يُحْدِث" بمعنى يصيِّر ويغيِّر في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً﴾ أوقع المضمر في السياق. وفي السُّورة نفسها أضمر لفظ الجلالة مع الفعل "خلق" في قوله تعالى: ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾ لاستعمال الفعل بدلالته الحقيقة "البدء والنشأة"، ولكن لما استعير فعلٌ للدلالة على هذا المعنى أثر الإظهار للفظ الجلالة.

٣. آيات التقوى والتوكل:

- **قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾.**[44]

ومن يتق الله يجعل له مخرجا في الطلاق خاصةً؛ أي من طلق كما أمره الله يكن له مخرج في الرجعة في العدة، وقيل: يجعل له مخرجاً ينجيه من كل كرب في الدنيا والآخرة، وقيل: المخرج هو أن يقنعه الله بما رزقه، وقال الكلبي: ومن يتق الله بالصبر عند المصيبة، ويجعل له مخرجا من النار إلى الجنة. وقال الحسن: مخرجا مما نهى الله عنه، وقال أبو العالية: مخرجا من كل شدة.[45]

والمقصود الموعظة على الأخذ بما في هذه الأحكام مما عسى أن يكون فيه مشقة والصبر امتثالا لأمر الله، فإن الممتثل يجعل الله له يسرا فيما لحقه من عسر؛ أي يجعل له من أمره العسير في نظره يسرا. والمقصود لحث الأزواج على امتثال ما أمر الله به الزوج، وما أمر به المرأة.[٤٦]

مظهر في موضع ضمير النَّصب المتصل على تأويل: "ومن يتقه" بمعنى: تجنبه وتركه، فخرج المعنى عن مقصوده، وأُثر الإظهار على الإضمار؛ ليتم المعنى المراد ألا وهو الخشية والخوف من الله. فالتقوى والخشية قد تتنازعها النفس الإنسانية في مقصدها، قال الله عز وجل ﴿أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، وقال تعالى: ﴿يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً﴾. وتربية للنُّفوس وتهذيباً لها في ربطها بفطرتها وتوجيه خشية الإنسان من الله وحده، فقد أظهر لفظ الجلالة.

أمَّا قوله تعالى: ﴿يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً﴾ فقد أضمر فيه اسم الجلالة خلافا للفعل "جعل" الذي يفيد الخلق والبدء، وذلك لوقوعه شرطا لفعل التقوى (فجيء بالوعد من الشرط لتحقيق تعليق الجواب على شرطه).[٤٧] فكل الأحكام من إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، وإشهاد ذوي العدل، والشهادة لله، تتوخى مراقبة الله والخشية منه، وتطبيق أمر الله عز وجل تولي إلى تيسير أمره، وتغيير حاله.

- **قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.**[٤٨]

أي لا تستبعدوا وقوع ما وعدكم الله حين ترون أسباب ذلك مفقودة فإنَّ الله إذا وعد وعدا فقد أراده، وإذا أراد الله أمرا يسر أسبابه. علم الله أن يكفي من يتوكل عليه مهمة فقدر لذلك أسبابه كما قدر أسباب الأشياء كلها، فلا تشكوا في إنجاز وعده فإنَّه إذا أراد أمرا يسر أسبابه من حيث لا يحتسب النَّاس، وتصاريف الله تعالى خفية عجيبة.[٤٩]

إظهار في موضع ضمير الخفض المتصل، فالتقوى والتوكل أمران متعلقان بعلاقة العبد بربه، ولما تداخلت صفة الخشية والتوكل وتنازعتها النَّفس الإنسانية في قصديتها جاء التصريح بلفظ الجلالة لتقويم وتهذيب هذه النفس وذلك باستقامتها واعتدالها مع الفطرة لئلا تنصرف لغير الله، فكان الإظهار أنزع إلى تعديل الخشية والتوكل عليه، ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾؛ أي من فوض إليه أمره كفاه ما أهمه". وقيل: أي من اتقى الله وجانب المعاصي وتوكل عليه، فله فيما يعطيه في الآخرة من ثوابه كفاية. ولم يرد الدنيا؛ لأنَّ المتوكل قد يصاب في الدنيا وقد يقتل.[٥٠] وتفويض الأمر– الذي بانت صروفه وأحواله– إلى الله عز وجل أفضى توكلا وإيمانا، مما انقطعت أسبابه وقلت حيلة العبد في تصريفه؛ ولهذا فالتوكل درجات ومنازل أعظمها توكل العبد على ربه في الأمر الذي عرفت أسبابه، وأدناها توكله عليه فيما تغيَّب عنه إدراكه، وحجبت أحواله، فإظهار لفظ الجلالة لبيان أنَّ توكل المرء على الله يقتضي أن يكون في كل أحواله وشأنه، وأنه –عز وجل– حاضر في كل أمره؛ فالإظهار أبلغ في المقام، لمناسبة حضور الله –عز وجل– في شأن العبد كله.

- **قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً﴾.** [٥١]

والمعنى اللغوي للفظ التقوى كما ورد في اللسان (تَوَقَّى واتَّقى بمعنى. وقد تَوَقَّيْتُ الشيء: حَذِرْتُه؛ والاسم التَّقْوى. وفي التنزيل العزيز: ﴿هو أَهلُ التَّقْوى وأَهلُ المَغْفِرة﴾؛ أَي هو أَهلٌ أَن يُتَّقَى عِقابه وأَهلٌ أَن يُعمَلَ بما يؤدّي إِلى مَغْفِرته).[٥٢] ومن يتق الله أي يعمل بطاعته. يكفر عنه سيئاته، ويعظم له أجرا أي في الآخرة؛ للتحريض على العمل بما أمر الله بالوعد بما هو أعظم من الأرزاق وتفريج الكرب وتيسر الصعوبات في الدنيا. وذلك هو تكفير للسيئات وتوفير الأجور.[٥٣]

إظهار في موضع ضمير النَّصب المتَّصل على تأويل: "ومن يتقه" وقد قلنا بالإظهار في موضع الإضمار؛ لأنَّه صرح باسم الجلالة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾، هذا وقد أثر الإظهار مخافة اللبس، فلو أضمر لانصرف الذهن في الخطاب إلى الخشية من أمر الله، وليس من ذات الله، على تأويل "ذلك أمر الله...ومن يتقه يكفر عنه سيئاته" فجاء الإظهارُ ليؤديَ المعنى المراد.

فالخوف من الله – تعالى– يقترن بتعظيمه، والتذلّل والخضوع له، وقد يكون خوف مقام؛ وهو استشعار الوقوف بين يديه يوم القيامة، ومن هذا قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾، وخوف وعيد؛ أي أنّ يستحضر العبد عذاب الله –تعالى– للعاصين، فيخاف النار والعقاب، وفي ذلك قال الله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾، والخوف من الله –تعالى– من لوازم الإيمان.[٥٤]

وقد ورد لفظ التقوى في سورة الطلاق في خمسة مواضع، أثر معها الإظهار؛ لأنّها تقلقل النفس وترعوي بها إلى الله عز وجل، على الأصل في الخوف من الله وليس من غيره، وتمكينه وتثبيته في نفس المؤمن.

- **قال تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾.**[٥٥]

لما طال الفصل بين المظهر والمضمر؛ قام المظهر موضع ضمير الرفع المستتر؛ إذ استُهلت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ إلى قوله: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾ فطال الفصل بينهما بقوله تعالى: "فحاسبناها" و"وعذبناها" و"فذاقت وبال أمرها" و"كان عاقبة أمرها خسرا".

ولما طغت القرية وتجاوزت أمر ربها، جاء وعيده –عز وجل– وتوعده للعصاة من الكفار والفساق بالعذاب؛ لإفادة الزجر والتحذير، ولهذا خُص وقوع العقاب وحصوله بالأمم السابقة بالإضمار في أغلب المواطن كما في قوله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ﴾، [القصص: ٥٨] وقوله تعالى: ﴿إِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾، [الإسراء: ١٦] وقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَاباً شَدِيداً وَعَذَّبْنَاهَا عَذَاباً نُّكْراً﴾، [الطلاق: ٨] فوقوع العقاب وحصوله يقلقل النفوس ويحركها نحو الفطرة ومن ذلك ما ورد في قوله عز

وجل: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾، [يونس: ٢٢] تلك الفطرة التي انطقت فرعون بقوله: ﴿آمَنتُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.[يونس: ٩٠]

أما خطاب الوعيد فهو عقاب منتظر، وتهديد وترهيب من معصيتة –عز وجل– فجاء التَّصريح بالاسم الجليل في هذا السياق. أما خطابه –عز وجل– عن الأمم السابقة التي أهلكها أُضمر اسمه الجليل؛ لأنَّ شدة عقابه ومجازاته تدل على عظمة سلطانه، فأقرتْ نفوسهم بما نزل بهم إنَّما هو من عند الله –عز وجل– ولهذا لم يُصرَّح بلفظ الجلالة في مثل هذه المواضع؛ لأن الخطاب إنَّما هو خطاب مع الفطرة.

- **قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾.**[٥٦]

يا أولي الألباب من المؤمنين لطفا في تقوى الله وحذر عقابه.[٥٧] إظهار في موقع ضمير النَّصب المتَّصل، لم يُنوى منه أمن اللبس؛ إذ سبق اسم الجلالة بما عيَّنه ودل عليه في قوله تعالى: ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَاباً شَدِيداً﴾، [الطلاق: ١٠] ففهم من النَّص عند الإضمار عوده إلى لفظ الجلالة لا إلى غيره، والذي أعدَّ العذاب الشديد أولى بأن تنصرف المخافة من عقابه، وجاء الخطاب للفطرة الإنسانية، ولكن لما انزاحت هذه الفطرة للخوف من غيره تجلَّى الله بإظهار اسمه؛ لا سيما أنَّ هذا الفعل لا يصدق إلا من العبد لربه جل وعلا.

وبعد تعقب الضمائر التي تقدمت تلك الآية الكريمة نجد أنَّها متعلقةٌ بالقرية، تعضد المعنى الذي يتوالى عليها، وبسبب توارد تلك المتواليات من الكنايات صُرّح بلفظ الجلالة؛ إذ استهلت الآية الكريمة بقوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ بالتَّصريح بلفظ القرية، والتصريح بلفظ الجلالة، بقوله: ﴿عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا﴾ ثم تتوالى الكنايات في عودها إلى اسم الجلالة والقرية في قوله: فحاسبناها، وعذبناها، يعقبها مباشرة سلسلة الضمائر التي تعود إلى القرية وهي: فذاقت، وبال أمرها، عاقبة أمرها، مع انقطاع للضمائر التي تعود إلى لفظ الجلالة، وبعد هذه السلسلة من تتابع الضمائر، يأتي الاستهلال بلفظ الجلالة في قوله تعالى: ﴿أعدَّ اللهُ﴾. فالتصريح في خضم هذه السلسلة من الكنايات أظهر وأقوى في تعيين الدلالة، وهيمنة ما أعده الله على تلك الكنايات المتوازية، وقطع سلسلة توارد الضمائر في ثنايا النص، بما يقرع السمع ويحرك القلوب. وبتحول جهة الخطاب والانتقال في استعمال الضمير ما بين الغائب في قوله عز وجل: "وكأين من قرية عتت" والمتكلم في قوله: "فحاسبناها" "وعذبناها" والمخاطب في قوله: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾ اقتضى ذلك إظهار اسم الجلالة.

٤. السعة والرزق:

- **قال تعالى: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْراً﴾**[٥٨]

﴿سيجعل الله﴾ تناسب مضمون ﴿ومن قدر عليه رزقه﴾، وهذا الكلام خبر مستعمل في بعث الترجي وطرح اليأس عن المعسر من ذوي العيال. ومعناه: عسى أن يجعل الله بعد عسركم يسرا. وهذا الخبر لا يقتضي إلا أن من تصرفات الله أن يجعل بعد عسر قوم يسرا لهم، فمن كان في عسر رجا أن يكون ممن يشمله فضل الله، فيبدل عسره باليسر.[٥٩] موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم، أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا.[٦٠]

إظهار في موضع ضمير الرفع المستتر على تأويل "سيجعل بعد عسر يسرا" وقد تقدم هذه الآية جملتان أظهر فيهما لفظ الجلالة أمَّا الآية الأولى فهي قوله تعالى: ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللهُ﴾ وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْساً إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ وعليه فالإضمار أولى وفق القياس، لوجود القرينة التي تُعيِّن لفظ الجلالة، ولكن أُثر الإظهار لمراد ضمني، ومنه عهد الله ووعده بألا يسفر عسر إلا عن يسر، فهو أمر محصور بالله –عز وجل– وبقدرته، وقد يتشاكل اليسر في بعض أمره فيرتاب الإنسان في تقديره وتوهمه، فتدخل المظنة إليه أنَّه من سعية ودأبه، لاسيما أنّ الإحاطة بالعسر ونفاذ اليسر إليه موكول بأمر الله، باق غير منقطع ولا منقوص من طرفه –عز وجل– ولهذا قام الإظهار مقام الإضمار لغاية وحدانية الله، وقدرته على إبدال العسر يسرا، وإن تراءت بعض الأفعال والأحوال أنّها من الأعمال التي أمكن منها الإنسان بما وهبه الله ورزقه أن يبدل العسر يسرا، فلما تراء هذا الفعل على الاشتراك، انتزعه الله لنفسه، فأظهر لفظ الجلالة، فلا رازق إلا هو ولا مغير للأحوال، ولا مبدل لليسر بالعسر إلا الله. ومن هذا المقام نخلص من ذلك أنَّ الصفات المتعلقة بالعقيدة يلزم الله بها اسمه مظهرا.

ثالثاً–لطائف عدول لفظ الجلال من الإضمار إلى الإظهار بالتَّضام والتكرار:

فيما يأتي قراءة إحصائية للتوصل إلى المعاني الضمنية التي اشتملت عليها الآيات القرآنية في سورة الطلاق من خلال عرض عدد تكرارات مواقع الإظهار والإضمار، للخروج بنتائج تعلل الدلالات الضمنية التي أدت إلى الإظهار.

جدول رقم (١) تكرارات الأفعال والأسماء والنواسخ في الإظهار والإضمار للضمائر المتصلة والمنفصلة والمستترة									
م	الإظهار	الكلمة		آية	الضمير	الإضمار	الكلمة	الضمير	آية
١	واتقوا الله ربكم	اتقوا	فعل	١	متصل				
٢	وتلك حدود الله	حدود	اسم	١	متصل				
٣	ومن يتعد حدود الله	حدود	اسم	١	متصل				
٤	لا تدري لعل الله	لعل	حرف	١	متصل	يحدث بعد ذلك أمر	يحدث	هو	١
٥	وأقيموا الشهادة لله	أقيموا	فعل	٢	متصل				
٦	من كان يؤمن بالله	يؤمن	فعل	٢	متصل				
٧	ومن يتق الله	يتق	فعل	٢	متصل	يجعل له مخرجا	يجعل	هو	٢
٨						ويرزقه من حيث لا يحتسب	يرزق	هو	٣
٩	ومن يتوكل على الله	يتوكل	فعل	٣	متصل	فهو حسبه	فهو	هو	٣
١٠	إن الله	إنَّ	حرف	٣	متصل	بالغ أمره	بالغ	هو	٣
١١	قد جعل الله لكل شيء قدرا	جعل	فعل	٣	مستتر				
١٢	ومن يتق الله	يتق	فعل	٤	متصل	يجعل له من أمره يسرا	يجعل	هو	٤
١٣	ذلك أمر الله	أمر	اسم	٥	متصل	أنزله إليكم	أنزل	هو	٥
١٤	ومن يتق الله	يتق	فعل	٥	متصل	يكفر عنه سيئاته	يكفر	هو	٥
١٥						ويعظم له أجرا	يعظم	هو	٥
١٦	فلينفق مما آتاه الله	أتاه	فعل	٧	مستتر				
١٧	لا يكلف الله نفسا	يكلف	فعل	٧	مستتر	إلا ما آتاها	أتى	هو	٧
١٨	سيجعل الله بعد عسر يسرا	سيجعل	فعل	٧	مستتر				
١٩						فحاسبنها حسابا شديدا	حاسب	نحن	
٢٠						وعذبناها عذابا نكرا	عذب	نحن	
٢١	أعد الله لهم عذابا شديدا	أعد	فعل	١٠	مستتر				
٢٢	فاتقوا الله يا أولي الألباب	فاتقوا	فعل	١٠	متصل	الذين آمنوا	آمنوا	به (هو)	١٠
٢٣	قد أنزل الله	أنزل	فعل	١٠	منفصل				
٢٤	يتلوا عليكم آيات الله	آيات	اسم	١١	متصل	ليخرج الذين	يخرج	هو	١١
٢٥						آمنوا	آمنوا	به (هو)	١١
٢٦	ومن يؤمن بالله	يؤمن	فعل	١١	متصل	يدخله جنات	يدخل	هو	١١

٢٧	قد أحسن الله له رزقا	أحسن	فعل	١١	مستتر				
٢٨	الله الذي	الذي	اسم	١٢	منفصل	خلق سبع سماوات	خلق	هو	١٢
٢٩	أن الله على كل شيء قدير	أنَّ	حرف	١٢	متصل				
٣٠	وأن الله قد	وأنَّ	حرف	١٢	متصل	أحاط بكل شيء علما	أحاط	هو	١٢

١. **الإعراب**: توارد على اسم الجلالة الرَّفع والنَّصب والجر، وفي نسب متساوية؛ إذ جاء مرفوعاً في ثمانية مواضع، ومجروراً في ثمانية مواضع كذلك، ومنصوباً في تسعة مواضع، ويتوزع في السورة توزيعاً تكامليا، مع تماثل نسبي في الحالات الإعرابية، ويهيمن إظهار لفظ الجلالة على جميع عبارات وألفاظ السورة، فتكاد لا تخلو آية من آياتها دون تعلقها بلفظ الجلالة مظهراً، ومن اللافت للنَّظر أنَّ أكثرَ مواقع الإظهار للاسم الجليل ورد في خاتمة كل آية تقريباً؛ ما يجعل كل جملة تنقاد للتعالق معه، وتعاقب الصروف الإعرابية على لفظ الجلالة يشير إلى تشاكله مع كل آية لا بل مع كل جملة وعبارة، وهذا بحد ذاته نوع من التوازن بين العبارات وتوارد الصروف الإعرابية على اللفظ الجليل.

إن المتدبر لسورة الطلاق يجد إنعاما وعطاء جليلاً في تصحيح وتهذيب العلاقات الأسرية، وتشريعاتٍ إلهية تطيب النفس باقتدائها والتقيد بها، ومن هنا يتجلى نفع هذه السورة ومنَّتها في بيان أحكام الطلاق للنّاس؛ ليكونوا على معرفة بأوامر الله ونواهيه، لا سيما أحكام المعاملات معِ المطلَّقةِ، فالأهمية الكبيرة والقضايا الحساسة التي تتناولها هذه السورة، وانسياق جملها وعباراتها وتعلقها بلفظ الجلالة، تحتم ذلك الإظهار للاسم الأعظم.

جدول رقم (٢) تكرار الأفعال والأسماء والحروف والنواسخ في الإظهار والإضمار

م	الألفاظ	الإظهار	الإضمار
١	الأفعال	١٦	١٦
٢	المضارعة	٨	٨
٣	الماضي	٥	٨
٤	الأمر	٣	٠
٥	الأسماء	٤	٤
٦	النواسخ	٤	٠

ومما يلفت النظر كذلك أن السورةَ الكريمة قد جاءت في اثنتي عشرة آية ختمت إحدى عشرة آية منها بكلماتٍ منصوبة، وتعليل ذلك يعود إلى أنَّ أكثر المواضع الإعرابية للاسم الجليل جاءت في موضع النَّصب، فتقدُّم النَّصب للفظ الجلالة في العدد يتناغم مع تذييل الآيات بكلمات منْصوبة، وبذلك تكتمل دائرة مواضع النصب في نهاية الآيات – بالاسم الجليل – ليصير العدد الكلي اثني عشر موضعاً وهو عدد آيات السورة.

وهذا الترابط يظهر من خلال الانسجام القائم بين مواضع النَّصب على المفعولية المذيلة بها خواتيم الآيات مع لفظ الجلالة المنصوب؛ إذ توزع النَّصب على المفعولية في تسعة مواضع من أصل اثني عشر موضعا، وهذا يتوافق مع مجيء لفظ الجلالة منصوبا على المفعولية في أكثر مواضعه.

٢.الإظهار: وبتتبع مواضع الإظهار التي عدل فيها عن الإضمار، نجد أنّ الضَّميرَ المتَّصل قد عدل عنه في ثمانية مواضع، والضمير المستتر في خمسة مواضع، في حين جاء العدول عن الضمير المنفصل في موضع واحد؛ لذا جاز القول: إنّ إمكانية العدول عن الضمائر المتصلة أكثر إمكانية من العدول عن الضمائر المستترة والمنفصلة، وهذا مرده إلى أن الضَّمير المتصل يكنى به عن الاسم الصريح وهو أخصر الضمائر، ولا سيَّما أنَّه يعامل مع ما اتصل به معاملة تركيب أحد عشر، والإحالة إلى الذهن باستعمال الضمير المتصل أسهل وأيسر أنواع الإحالات الذهنية، وأقلها إجهاداً، فإنْ استقرَّ اللفظ على اللسان وتوارد ذكره في الحضور والغياب ميل إلى الكناية عنه، ولما كانت الضمائر إحدى الكنايات، كان الضمير المتصل أكثر ارتبطا بالذهن من غيره من الضمائر.

وعند تتبع الصِّيغ اللفظية التي عدل فيها من الإضمار المتَّصل إلى الإظهار نجد أنَّها نعوت مرتبطة بالأفعال الإلهية، كالتقوى، والتوكل، فهما أدعى إلى الاقتران بالضمائر المتَّصلة؛ لأنَّها أمْكن في الذهن من غيرها من الضمائر؛ فالضمير المتَّصل بتضامه مع غيره من الأفعال والأسماء والحروف يصير كالكلمة الواحدة، فيكثر العدول عنه إلى المظهر؛ لأنَّه بالاتصال أوجز من الانفصال.

وأشار الرضي في شرح الكافية إلى الاختزال الذي يتأتى من هذا الاقتران؛ إذ قال: (والمتَّصل مقدّم على المنفصل، لكونه أخصر).[٦١] ومن هنا يُفهم من العبارة السابقة أنَّ (كل موضع أمكن أن يؤتى فيه بالضمير المتصل لا يجوز العدول عنه إلى المنفصل؛ لأنَّ الغرض من وضع المضمرات إنّما هو الاختصار، والمتصل أخصر من المنفصل فلا عدول عنه إلا حيث لم يتأت الاتصال)؛[٦٢] ولهذا تتضح علة كثرة إمكانية وضع الضمير المتصل موضع الاسم الظاهر أكثر من الضمير المنفصل كما أشار إلى ذلك النحويون.

وقد بلغ عدد ألفاظ اسم الجلالة التي قامت موضع الإضمار خمسة وعشرين موضعاً، قامت في موضع الضمير المتصل في سبعة عشر موضعاً، جاز العدول فيها إلى الإظهار في ثمانية مواضع، وفي مقام

الاستتار بستة مواضع، جاز العدول فيها إلى الإظهار في أربعة مواضع، واقتصرت على مقامين في موضع الضمائر المنفصلة، جاز العدول فيها في موضع واحد. وهذا يؤكد ظاهرة الإحالة الذهنية والإيجاز التي تقوم بها الضمائر المتصلة، فالضمائر المتصلة أنزع إلى الاختصار، وأخرجت المظهر إلى دلالة إضافية، والإضمار أحرى بالإجمال والاقتضاب، والإظهار أخلق بالإكمال، وزيادة المعاني تنبئ عن إضافة المباني، فلما قصد الإظهار مقام الإضمار استوجب الإضافة على المعنى غاية أخرى فوق غايتها وعلامة فوق دلالاتها، وأكثر مواضع الانسحاب إلى الإظهار ينحصر بالمتصل من الضمائر.

٣.الإضمار: اشتملت سورة الطلاق على ثمانية عشر ضميرا في موضع لفظ الجلالة، عدل بالاسم الصريح منها إلى ضمير الغائب في ستة عشر موضعا، وإلى ضمير المتكلم في موضعين.

ومن اللطائف القرآنية في سورة الطلاق تزاحم استعمال ضمير الغيبة في موضع الاسم الأعظم؛ إذ يتجلى الله –عزَّ وجل– لعباده بعظيم صنعه وتدبير خلقه، وما احتجاب رؤيته –عزَّ وجل– عن أبصار عباده، إلا النعيم المقيم والدرجة العليا التي تعهدها لعباده الصالحين في الدار الآخرة، فلما حجب الله ذاته عن الأبصار تواردت أكثر الضمائر على موضع لفظه –جل وعلا– بضمير الغيبة. وكناية الغياب عن الذات الإلهية لا تتماثل مع كناية الغياب عن الذات الإنسانية، فالغياب المكنى به عن الذات الإلهية إنَّما هو احتجاب عن الأبصار مع دوام علمه وقدرته –عز وجل– إذ يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، بينما الكناية عن الذات الإنسانية تُلمح إلى انقطاع الحضور، وانكفاف العلم والمعرفة بحقيقة الشيء.

ولا يغيب عنا كذلك أن استخدام ضمير الغيبة يتشاكل مع أحكام سورة الطلاق؛ إذ إنَّ أغلب أحداثها تتصف بالسرائر التي لا يعلمها إلا الزوجان في أغلب الأحيان، ومنها سريرة إيقاع الطلاق، وعدة المطلقة، والإتيان بفاحشة، واليأس من الحيض، وعدم الحيض، والحمل، سرائر قد تتنازعها النفس الإنسانية بأهوائها، فتنقاد إلى معصيته –عز وجل– ولهذا جاء تزاحم استعمال ضمير الغيبة في موضع لفظ الجلالة متوافقا مع طويَّة هذه الأحداث؛ إذ يكثر في هذه السورة الحضور والغياب، وهو أسلوب عرفه العرب في كلامهم، وعرَّفه علماء البلاغة بأسلوب الالتفات وقد أشار الزركشي – رحمه الله – إلى دوافع المتكلم في التنقل بأسلوب الكلام بين الضمائر، بقوله: (ونَقْلُ الْكَلَامِ مِنْ أُسْلُوبٍ إِلَى أُسْلُوبٍ آخَرَ، تَطْرِيَةً، وَاسْتِدْرَاراً لِلسَّامِعِ، وَتَجْدِيداً لِنَشَاطِهِ، وَصِيَانَةً لِخَاطِرِهِ مِنَ الْمَلَالِ وَالضَّجَرِ بِدَوَامِ الْأُسْلُوبِ الْوَاحِدِ عَلَى سَمْعِهِ)،[٦٣] ويؤكد ذلك حَازِمٌ القرطاجني فِي "مِنْهَاجِ الْبُلَغَاءِ بقوله: (وَهُمْ يَسْأَمُونَ الِاسْتِمْرَارَ عَلَى ضَمِيرِ مُتَكَلِّمٍ، أَوْ ضَمِيرِ مُخَاطَبٍ، فَيَنْتَقِلُونَ مِنَ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ، فَتَارَةً يَجْعَلُهُ تاء عَلَى جِهَةِ الْإِخْبَارِ عَنْ نَفْسِهِ، وَتَارَةً يَجْعَلُهُ كافا فَيَجْعَلُ نَفْسَهُ مُخَاطَباً، وَتَارَةً يَجْعَلُهُ هَاءً فَيُقِيمُ نَفْسَهُ مَقَامَ الْغَائِبِ. فَلِذَلِكَ كَانَ الْكَلَامُ الْمُتَوَالِي فِيهِ ضَمِيرُ الْمُتَكَلِّمِ وَالْمُخَاطَبِ لَا يُسْتَطَابُ، وَإِنَّمَا يَحْسُنُ الِانْتِقَالُ مِنْ بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ).[٦٤]وعليه يمكن القول: إنَّ ضمير الغيبة يتوزع في السورة الطلاق توزيعاً تكامليا يتناسب

مع جميع أحداثها المتوارية في طوية الألفاظ، فالحضور والغياب، إنَّما هو حضور علم وتقدير كل شيء، والغياب للفظ المشار إليه.

٤.الأفعال: في هذا المستوى سنتناول الصيغ الفعلية في سورة الطلاق بصورها الثلاثة: المضارعة، والماضية، والأمر، والمواضع التي يلازمها لفظ الجلالة بالتصريح، والمواضع التي يلازمها ضمير لفظ الجلالة بالكناية، واللطائف الضمنية التي يمكن أن تقودنا إليها هذه العلائق.

جدول رقم (٣) الأفعال التي توارد عليها الإظهار والإضمار		
م	الفعل في حالة الإظهار	الفعل في حالة الإضمار
١	اتقوا	يحدث
٢	أقيموا	يجعل
٣	يؤمن	يرزق
٤	يتق	يجعل
٥	يتوكل	أنزل
٦	جعل	يكفر
٧	يتق	يعظم
٨	يتق	أتى
٩	أتاه	حاسب
١٠	يكلف	عذب
١١	سيجعل	آمنوا
١٢	أعد	يخرج
١٣	فاتقوا	آمنوا
١٤	أنزل	يدخل
١٥	يؤمن	خلق
١٦	أحسن	أحاط

جدول رقم (٤) الأفعال التي توارد عليها الإظهار والإضمار			
	الكلمة	الإظهار	الإضمار
١	آمن	٢	٢
٦	يجعل	٢	٢
٧	أتى	١	١
٨	أنزل	١	١

بلغ عدد الأفعال التي لازمت الإظهار للفظ الجلالة ستة عشر فعلاً، والأفعال التي كُنِّي بها عن لفظ الجلالة بالإضمار ستة عشر موضعا، وورد عدد الأفعال المضارعة في حالة الإظهار ثمانية أفعال، وفي حالة الإضمار ثمانية أفعال، بينما وردت الأفعال الماضية في حالة الإظهار في خمسة مواضع، وفي حالة الإضمار في ثمانية مواضع، في حين تواردت أفعال الأمر على السورة في حالة الإظهار على ثلاثة مواضع، ولم تأت على الإضمار في أي موضع.

ومما سبق يتبدى التوزيع التكاملي للصيغ الفعلية في سورة الطلاق، وبديع انتظامها مع الاسم الأعظم أو بالكناية بالضمير، مزيَّة تُلمح إلى دقة الإحكام في تموضع الأفعال، وتوظيفها توظيفا تكامليا ساق إلى اطرادها في الإظهار والإضمار، ووجه يكشف عن الإعجاز في ذلك المشهد المتكامل المرصوف بالأحكام الشرعية، أحكام تنتظمها الأفعال وفق معايير يكفل تناسقها، ويكشف عن التوازي الفعلي القائم على حسن التنضيد والسبك، ومدى دقة الإحكام السامي، والاتساق البديع الذي يسير عليه النَّص القرآني.

وبتتبع الأحكام التي اشتملت عليها سورة الطلاق نجد أنَّها تتشاكل مع الصيغ الفعليَّة المؤتلفة بالإظهار والإضمار؛ إذ إن صيغ الأفعال في الإظهار، وفي الإضمار، تتقاطع بدورها مع ستة عشر حكما؛ هي مجموعة الأحكام الشرعية التي تضبط العلاقات الأسرية، الأمر الذي يكشف عن التوزيع التكاملي للصيغ الفعلية في السورة، وتعاقبها على مواقع الإظهار والإضمار بما يتناغم مع تجاذبات الأحكام الشرعية التي كفلتها سورة الطلاق؛ لذا فقد ينْسحب حكمٌ من الأحكام مُؤْثِراً الإظهار على الإضمار مع صيغة ما، فكل موضع قد يتوارد عليه الإظهار والإضمار في ذات الوقت، فيُتَخيَّر أحدهما على الآخر لعلة دلالية أو تشريعية، ويتبين ذلك من خلال الجدول رقم (٣) فأفعال التَّقوى، والحدود، والتوكل، والتكليف، قد تتداخلها الأهواء فتخرجها عن أصل حقيقتها فيؤثر الإظهار للفظ الجلالة، بينما أفعال الرزق، والحساب، والعذاب، والخلق، والإحاطة، والتعظيم، أفعال لا تتنازعها النفس الإنسانية بحق الخالق، ولا ينكرها منكر، فيأثر معها الإضمار، أمَّا أفعال الإيمان، والجعل، والإتيان، فيتنازعها الإظهار

والإضمار في الوقت ذاته، وقد يؤثر أحدهما على الآخر بما يتلاءم مع السياق القرآني؛ وذلك لأنَّ الإيمان قد يعتريه الزيادة والنقص، فبزيادته ولحكمة يقتضيها النّص القرآني، ولغرض الإئتلاف والانسجام السياقي قد يُطلب الإضمار، وبنقصه قد يطلب الإظهار، وهكذا الفعل "جعل" فهو بقدرة الله في الممكن وغير الممكن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾، ولكنه بقدرة البشر في الممكن، فتعادى عليه الإظهار والإضمار وفق ما استوجبه السياق.

٥.الأسماء: بعد التطواف باستنطاق الدلالات الضمنية في الصيغ الفعلية المقترنة بلفظ الجلالة وكناياته، نشرع في استخراج الأسماء التي اقترنت باللفظ الجليل وكناياته، والدلالات الخبيئة التي قادت إليها؛ ولهذا فقد تم حصر هذه الصيغ من سورة الطلاق كما في الجدول الآتي:

جدول رقم (٥) الأسماء الملازمة للإظهار والأسماء الملازمة للإضمار			
م	الاسم	الإظهار	الإضمار
١	حدود الله	*	
٢	حدود الله	*	
٣	حسبه " هو"		*
٤	بالغ (هو)		*
٥	أمره		*
٦	أمر الله	*	
٧	رسله		*
٥	آيات الله	*	

الصيغ الاسمية التي اقترنت بلفظ الجلالة ثمانية صيغ، منها أربع صرح فيها بالاسم الجليل، وأربع بإضماره، وهذا يلمح إلى التوزيع التكاملي للمركب الإضافي في سورة الطلاق، فصور التَّضام الاسمي مع اللفظ الجليل بالتَّصريح والإضمار، يكشف عن كنه الدلالة المحمل بها التركيب، ومن ذلك لفظ "الحدود" في تضامَّه مع الاسم الجليل؛ فالحدود نوعان: حدود الله؛ وهي محارمه التي نهى عن ارتكابها وانتهاكها، قال تعالى :﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾، وحدود الوضع التي اصطلح جماعة من الناس على إحداثها؛ وللتَّعادي والتَّضارب بين الحدين، وما قد يعتري النفس فيها من منازعة، وتقريرا لمخافة الله في أمر المطلقة، اقتضى إظهار اللفظ الجليل، لتمكينه في النَّفس، واستظهار الخوف منه عز وجل، والإمساك

بتطبيق حدوده، ولم يقتصر إظهار اللفظ الجليل على الحدود العامة، بل لزم إظهاره كذلك في الحدود الخاصة.

أمّا الصِّيغة الاسمية " أمر" الواردة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ﴾ بإظهار اسم الجلالة معها، وبإضماره للدلالة عليه، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ﴾؛ حيث جيء بالإضمار في المركب الإضافي؛ لإفادة الإيجاز، وأجرى للسياق، وفي العدول تجاوز للأصل وأربى في الدلالة وأبلغ في الإبانة؛ إذ إنَّ التَّعادي والتَّنازع بين الإظهار والإضمار يقوم على فضل المعنى وقوته، وينصاع لمطلب الحكم. والتَّضام الاسمي بالإضمار يخرج عن الأصل عند النزوع لدلالة إضافية، ولا شك أن تضامّ الاسم مع الضمير أخصر من تضامه مع الاسم الصريح.

ومن الأمثلة على الدلالات التي نزع فيها المركب الاسمي إلى دلالة إضافية في سورة الطلاق قوله تعالى:﴿رسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ﴾ بإضافة الاسم الجليل، وهو عدول عن أصل إفادة الاختصار إلى قصر "الآيات" وحصرها بالله عز وجل، ولدفع قول القائلين من الكفار والمشركين أن الرسول – صلى الله عليه وسلم– قد افتراها من عنده، ومن ذلك قوله عز وجل ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، ولما كان هذا خطابهم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – ولدرء تلك الأقاويل، أثر الإظهار على الإضمار.

ولما كان "أمر" الله، وقدره نافذ سواء أتوكل عليه المرء أم لم يتوكل، وهو أمر غيبي لا يعلم كنهه، ولا حيلة في إنفاذه، وحجب إدراكه ودرايته، أضمر اسم الجلالة معه للمناسبة، أما قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ﴾ فـ: (هذا الذي بيَّنت لكم من حكم الطلاق والرجعة والعدّة، أمر الله الذي أمركم به، أنزله إليكم أيها الناس، لتأتمروا له، وتعملوا به)،[٦٥] فقد جاء "الأمر" بمعنى الأحكام التي أقرها الله – عز وجل– للانقياد إليها وضبط المعاملات الأسرية في المجتمع، أظهر لفظ الجلالة إظهار تعظيم وتسليم، من دون منازعة، ليتمكن وقع جرس الاسم الأعظم في نفوسهم ولتمتثل ضمائرهم وسرائرهم قبل امتثال جوارحهم، وجعل الشَّريعة مُهابة مُطاعة نافذة، ولإيقاع مخافة الله في النفوس.

إنَّ النّاظر في هذه السورة – يجد مزيَّة تفردت بها على غيرها من السور تهيمن على أسلوبها وصياغتها، وهي خاصية ومنهج سنَّ الأحكام الشَّرعية، التي تتفاوت ما بين الأحكام الكلية والخاصة، مع بيان للكيفيات، والتفصيلات، لم نعهدها في غيرها من السور إلاّ في مناسبات خاصة ذات مصالح ثابته كالأحكام الشرعية المتعلقة بالأسرة، وغيرها فاقتضت إرادة الله – عز وجل – القواعد المتعلقة بهذه الأحكام، لإزاحتها عن الخلافات والاجتهادات؛ ولهذا جاء توزيع استعمال الصيغ الفعلية والاسمية في السورة متوازنا مع هيئة الإضمار والإظهار، توازن يفرض نفسه على السورة، لاسيما أنَّها ذات زخم بالأحكام التشريعية التي تنتظم الأسرة، وهذه الدقة المتناهية في الأحكام تتساوق مع إحكام وقيد الأفعال والأسماء.

إنَّ الأحكام التي تعالجها السورة أحكام ثابته مستقرة غير قابلة للتغيير والتبديل، فلا تتغير بتغير الزمان والمكان، ومن هنا انتقل الثبات في هذه الأحكام إلى الثبات والتوازن في استعمال الأفعال والأسماء مع الإضمار والإظهار، وفي هذا المقام يعرف الإمام الشاطبي القرآن بقوله: (تعريف القرآن بالأحكام الشَّرعية؛ أكثرُه كُلِّي، لا جزئي).[٦٦] وقال في موضع آخر: (الشَّريعة لم تنصَّ على حُكم كلِّ جزئية على حِدَتها، وإنَّما أتت بأمور كلِّية، وعبارات مطلقة تتناول أعداداً لا تنحصر)،[٦٧] ومن هنا تميزت سورة الطلاق من بقية السور القرآنية بهذا التفصيل والتحليل، فتوزيع الإضمار والإظهار في السورة تناسب تناسبا كليا مع مشروعية هذه الأحكام، ما بين استلزام الإظهار، واستلزام الإضمار، وبذلك اعتدل واكتمل توزيع الضمائر على السورة بما يتلاءم مع الأحكام الشرعية.

ومما يلفت النظر كذلك أنَّ التناوب في استعمال الاظهار والإضمار مبعثه تشويق النفوس وتثبيتها، للتمسك بحدود الله وأحكامه، لا سيما أنَّ السورة ذات زخم في تقرير الأحكام الشرعية؛ إذ قد يُتوهم أنّ هذه السلسلة من التقريرات التي تسيطر على النَّص قد يفقدها شيء من الجرس الموسيقي، ولكننا نقول: إنَّ التعاقب والتناوب ما بين الإضمار والإظهار يضفي على الأحكام قسامة في الألفاظ، وحسنا في الجرس الموسيقي يعذب ويستطاب به زخم التشريع.

٦.النواسخ: ونشير هنا إلى النواسخ التي تضامت مع اللفظ الجليل فقط؛ إذ تحققت دلالاتٌ إضافية بالأفعال والأسماء بتضامها إلى لفظ الجلالة، ويصدق ذلك على تضامِّ حروف النَّصب الناسخة للاسم الجليل، فمدعاة إبانتها الضمنية كإبانة الأفعال والأسماء؛ لشبهها بها؛ إذ إنَّها لا تؤدي معنى بنفسها وإنّما تدل على معنى بغيرها، وتشبه الأفعال عملا في نسخ الابتداء، (ولفظاً من حيث كونها على ثلاثة أحرف فصاعداً، ومبنية على الفتح، ومعنى؛ لأنَّها بمعنى أكَّدت وشبَّهْتُ وتمنَّيْتُ إلخ؛ ولأنها مشبَّهة بفعل متصرِّف وهو كان).[٦٨] وأشبهت الأسماء في العمل حملا على المصدر والوصف؛ إذ تعمل الرفعَ والنَّصب كعملها، (ولشبه الاسم بالحرف شبه وضعي؛ بمجيئه على حرف واحد، كضمير الرفع في جئتُ، فهو شبيه بباء الجر ولامه، والشبه المعنوي، كشبه متى بهمزة الاستفهام).[٦٩] واقتصرت حروف النَّصب النَّاسخة على التَّعلق بإظهار لفظ الجلالة في أربعة مواضع، وهي: "إنَّ، أنَّ، لعل" على النحو الآتي:

جدول رقم (٦) النواسخ التي توارد عليها الإظهار والإضمار				
م	الآية	الكلمة	الإظهار	الإضمار
١	لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً	لعل	*	
٢	إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ	إنَّ	*	
٣	لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	أنّ	*	
٤	وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً	أنَّ	*	

وهذا الاقتران يُلْمح إلى التوزيع التكاملي للفظ الجلالة في سورة الطلاق، واقتصاره على حروف النصب الناسخة. (فالمعنى الذي في "إنَّ وأنَّ" إنما هو لتوكيد النِّسبة، ونفي الشك عنهما والإنكار لهما)؛[٧٠] أمَّا لعل فهي للتوقع، وعبر عنها قوم بالترجي في المحبوب نحو: ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْراً﴾.[٧١]

واقتصار اقتران لفظ الجلالة بنواسخ التوكيد النَّاصبة، يقتضي التأكيد على مراقبة الله – عز وجل– في تطبيق أحكامه، ونفاذ أمره، وقدرته على كل شيء، وإحاطته بعلم كل شيء، وتضام حرف التوكيد بلفظ الجلالة، آكد وألزم في الكلام، والغرض من التَّضام للفظ الجلالة، والعدول إلى الإظهار، ينبئ عن معان إضافية غير إرادة التوكيد؛ فإظهار اسم الجلالة مع صفاته العليا؛ إنَّما هو لإرادة التَّحقيق والتَّصديق بقدرته وإحاطته –عز وجل–، فهو تحول من التوكيد المقيد الذي قد يعتريه الإنكار وعدم الموافاة، إلى التوكيد المطلق بحق الله عز وجل، بما لا يدع مجالا للإنكار ومراودة النَّفس.

ويمكن الإشارة إلى أنَّ الأحكام العامة قد استأثرت التَّوكيد بحرف النصب الناسخ، قال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وقوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً﴾ حكمان عامان، بعد حكم خاص يتقرر في قول الله عز وجل: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ تحول من القدرة مقيدة، إلى القدرة المطلقة، ومن بعض إلى كل، ومن المبصر إلى غير المبصر، ومن معلوم إلى غير معلوم؛ ولهذا أظهر لفظ الجلالة بالتَّضام مع أنَّ المؤكدة، إظهار تعظيم، فلا يحسن الإضمار مع استظهار العظمة، والقدرة، والإحاطة. واستوجب إثبات حروف التوكيد الناسخة، بإطلاق الأحكام الشرعية التي تنتظم الأسرة؛ لأنها محضة في التأكيد.

الخاتمة

وبعد جولة التأمل في سورة الطلاق، واستظهار بعض اللطائف الدلالية التي تأتت بظاهرة العدول الأسلوبي القرآني والتصريح بلفظ الجلالة، تم التوصل إلى مجموعة من النتائج منها:

١. أن إظهار لفظ الجلالة في سورة الطلاق مع الحدود الشرعية الكلية والخاصة؛ قد جاء لإقرار تقواه في السريرة والعلن، وحضور الخوف منه -جل وعلا- في جميع حدوده لا سيما أنَّ الحدود الخاصة قد يسهل تفويتها. وأغلب الألفاظ التي أثر معها إظهار الاسم الجليل في السورة هي صيغ: "التقوى، والحدود، والغيب، والقدر"، ولما تغاير الحكمان بين التكليف المطلق والتكليف المقيد، استؤثر الإظهار، وقد اقتضى التصريح بلفظ الجلالة في ابتداء بعض آيات السورة؛ لأنه أبْين من الكناية؛ فلو عدل عن الابتداء إلى المضمر، لانشغلت النفس بعظمة المخلوق وفاتها عظمة الخالق.

٢. إنَّ انفصال الضمير في أوائل الآيات في سورة الطلاق يباعد توافق الدلالات بينها وبين نهاياتها، ويؤدي إلى افتقار التجانس بين المقدمات وفواصل الآيات، فتأتي الصفات التي استأثر الله بها نفسه في فواتح الآيات مغايرة لما جاءت عليه خواتيمها، وعليه أثر الإظهار، ويتجلى الإظهار في آيات السورة الكريمة في موضع ضمير النَّصب المتصل؛ إذ يتعانق مع مظاهر عظمة الله – عز وجل – كخلق السماوات والأرض، وإحاطته بعلم كل شيء، جلالة تستدعي الإظهار وتناسب يتوافق مع حضِّ النَّفس الإنسانيةِ وإثارتها على التدبُّر والتَّأمل، لا سيما أنَّ الاطِّراد في الإظهار للفظ الجلالة مع ما انبلج وتجلى من مخلوقاته؛ لتتمكن وتترسخَ في النفس عظمة الله؛ ولهذا استدعى فعل "الخلق" في السورة الإظهار للفظ الجلالة، بينما استلزم فعل التصيير الإضمار، فأظهر اسم "الله" مع الصُّنع العظيم إظهار الجلالة والمهابة والتعظيم، وأضمر مع فعل التصيير، وأفعال التقوى والخشية والتوكل تتعلق بعلاقة العبد بربه فقد تتنازعها النفس الإنسانية في القصدية، وتقييدا لوصلها بفطرتها في توجه الخشية من الله وحده، جاء التصريح بلفظ الجلالة لتقويم وتهذيب هذه النفس فكان الإظهار أنزع إلى تعديل الخشية والتوكل عليه، وأفعال التهديد والوعيد تقلقل النفوس، وتحركها نحو الفطرة، ولما انزاحت الفطرة عن أصلها تجلى الله بإظهار اسمه في بعض المواطن في السورة، وقد يتشاكل اليسر في بعض أمره فيرتاب الإنسان في توهمه وتقديره، فتدخل المظنة إليه أنه من سعية ودأبه، ولهذا قام الإظهار مقام الإضمار لإفراد الله وقدرته على إبدال العسر يسرا.

٣. ويتوارد على الاسم المعدول في السورة الرفع والنصب والجر بنسب متماثلة، ويتوزع توزيعا تكامليا، وهذا بدوره يجعل كل جملة تنقاد للتعالق مع اللفظ الجليل، وهو بحد ذاته نوع من التوازن ما بين ألفاظ السورة ولفظ الجلالة، والقضايا الأسرية الحساسة التي تتناولها هذه السورة، تحتم ذلك الإظهار للاسم الأعظم، فالصِّيغ الفعلية التي عدل فيها من الإضمار المتَّصل إلى الإظهار هي أفعال في أحداثها مرتبطة بالأفعال الإلهية، كأفعال

التقوى، والتوكل، فهي أدعى إلى الاقتران بالضمائر المتَّصلة؛ لأنَّها أمْكن في الذهن من غيرها من الضمائر، ويتزاحم في السورة استعمال ضمير الغائب في موضع الاسم الأعظم، ويتساوق مع احتجاب رؤيته – عز وجل– عن إبصار عباده، ويتشاكل استعمال ضمير الغيبة مع أحكام سورة الطلاق؛ إذ إنَّ أغلب أحداثها تتصف بالسرائر التي قد تتنازعها النفس الإنسانية بأهوائها، ومتوافقة مع طويَّة هذه الأحداث.

٤. يتبدى التوزيع التكاملي للأفعال في سورة الطلاق، ببديع اختيارها وانتظامها مع الاسم الأعظم على الرغم من الزخم لذلك المشهد المتكامل المرصوف بالأحكام الشرعية، وكذلك التوزيع التكاملي للمركب الإضافي، وصور التَّضام الاسمي مع اللفظ الجليل بالتَّصريح والإضمار، يكشف عن كنه الدلالة المحمل بها التركيب، ويكشف الميزة التي هيمنت على السورة بمنهج سنَّ الأحكام الشَّرعية، التي تتفاوت ما بين الأحكام الكلية والأحكام الخاصة؛ ولهذا جاء توزيع استعمال الصيغ الفعلية والاسمية في السورة متوازن مع هيئة الإضمار والإظهار، وتتحقق دلالات إضافية بالأفعال والأسماء بتضامها إلى لفظ الجلالة، لا سيما تضامِّ حروف النَّصب الناسخة للاسم الجليل، فمدعاة إبانتها الضمنية كإبانة الأفعال والأسماء؛ لشبهها بها، واقتصار اقتران لفظ الجلالة بنواسخ التوكيد النَّاصبة في السورة الكريمة، يقتضي التأكيد على مراقبة الله –عز وجل– في تطبيق أحكامه، ونفاذ أمره، وقدرته على كل شيء، وإحاطته بعلم كل شيء، والتَّضام بين حرف التوكيد ولفظ الجلالة، آكد وألزم في الكلام.

هوامش البحث

[١] ابن الأثير، ضياء الدين، نصر الله بن محمد الشيباني، **المثل السائر**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ١٩٩٩م)، ص ٤٩– ٥٠.

[٢] الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٣، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٩٢م)، ص١٨٢.

[٣] انظر: علي، محمد يونس، **مقدمة في علم الدلالة والتخاطب**، (بيروت: دار الكتاب، ٢٠٠٧م) ص ٨، ٩.

[٤] الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، **المحصول**، تحقيق: طه جابر العلواني، ط٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٩٧م) ج١، ص٣٣٦.

[٥] أبو موسى، محمد محمد، **خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، ط٤، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٩٦م) ص ٢٤٧.

[٦] ابن فارس، أحمد بن زكريا، **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م)، ج ٤، ص ٢٤٧.

[٧] الفراهيدي، الخليل بن أحمد، **معجم العين**، تحقيق: مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي، (بيروت: دار ومكتبة الهلال د.ت)، ج٢، ص٣٨.

[٨] ابن منظور، محمد بن مكرم، **لسان العرب**، ط١، (بيروت: دار صادر، د.ت)، ج١١، ص٤٣٠.

[٩] حسان، تمام، **البيان في روائع القرآن**، ط١، (القاهرة: عالم الكتب، ١٩٩٢م)، ص٢٣٧,

[١٠] انظر: سيبويه، عمرو بن عثمان، **الكتاب**، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجيل، د.ت)، ج ١، ص٢١٢.

[١١] انظر: الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط٢، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٩م)، ص٦٦.

[١٢] ابن المثنى، أبو عبيدة معمر، **مجاز القرآن**، تحقيق: فؤاد سزكين، (القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت)، ج١، ص ٨- ١٦.

[١٣] ابن قتيبة، عبد الله بن عبد المجيد، **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: السيد أحمد صقر، ط٢، (القاهرة: دار التراث، ١٩٧٢م)، ص٢٠-٢١.

[١٤] انظر: ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق: محمد علي النجار، (بيروت: عالم الكتب، د.ت)، ج٢، ص ٣٦٠- ٤٤١.

[١٥] ابن فارس، أحمد بن زكريا، **الصاحبي**، ط المكتبة السلفية، (القاهرة: المكتبة السلفية، ١٩١٠م)، ص ١٢.

[١٦] الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص٤٣٠.

[١٧] الجرجاني، عبد القاهر، **أسرار البلاغة**، تحقيق: محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، د.ت)، ص ٣٩٥.

[١٨] السعدني، مصطفى، **العدول أسلوب تراثي في نقد الشّعر**، ص ١٧، (الإسكندرية: منشأة المعارف، ١٩٩٠م)، ص١٧.

[١٩] ويس، أحمد محمد، **الانزياح في التراث النقدي والبلاغي**، (دمشق: اتحاد الكتاب العرب، د. ت)، ص ٣٧.

[٢٠] طبل، حسن، **أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية**، (القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٩٨م)، ص ١١.

[٢١] انظر: سورة الطلاق، الآية ١.

[٢٢] انظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، ط١، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩م)، ج٨، ص ١٦٥.

[٢٣] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، الطبعة التونسية، (تونس: دار سحنون، ١٩٩٧م)، ج٢٩، ص ٣٠٦.

[٢٤] انظر: ابن هشام، أبو محمد، جمال الدين، عبد الله بن يوسف، شرح **قطر الندى وبل الصدى**، ط١١، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٣م)، ص ٩٨.

[٢٥] سورة الطلاق، الآية ١.

[٢٦] انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، **الجامع لأحكام القرآن**، ط٢، تحقيق: أحمد البردوني، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م)، ج١٨، ص ١٥٦.

[٢٧] انظر: عودة الضمير إلى أقرب مذكور، أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي، **التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل**، ط١، تحقيق: حسن هنداوي، (دمشق: دار القلم، ١٩٩٨م)، ج٢، ص٢٥٣؛ الأشموني، أبو الحسن، علي بن محمد بن عيسى، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٨)، ج١، ص٢٠٠؛ السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمن بن أبي بكر، **همع الهوامع شرح جمع الجوامع**، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، (القاهرة: المكتبة التوفيقية، د. ت)، ج٢، ص٣١٦.

[٢٨] سورة الأنفال، الآية ٣٦.

[٢٩] انظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٣٠٧.

[٣٠] سورة الطلاق، الآية ٥.

[٣١] سورة الطلاق، الآية ٧.

[٣٢] انظر: البيضاوي، عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي، **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، ط١، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٧م)، ج٥، ص٢٢٢.

[٣٣] سورة الطلاق، الآية ١٢.

[٣٤] انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، **جامع الأحكام**، ج١٨، ص١٢٨.

[٣٥]انظر: السكاكي، أبو يعقوب، يوسف بن أبي بكر، **مفتاح العلوم**، ط٢، علق عليه: نعيم زرزور، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧م)، ج١، ص١٩٧.

[٣٦] سورة الطلاق، الآية ١٢.

[٣٧] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٣٣٩.

[٣٨] الآلوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله، **روح المعاني**، ط١، (دار إحياء التراث العربي، ١٤١٥هـ)، ج٢٨، ص ١٤٣.

[٣٩] انظر: الزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، ط٣، (بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٠٧ هـ)، ج٤، ص ٥٦١.

[٤٠] سورة الطلاق، الآية ٣.

[٤١] الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، ط١، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (بيروت: دار القلم، ١٤١٢)، ص ١٥٨.

[٤٢] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص ٣١٤.

[٤٣] ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، **لسان العرب**، ط٣، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٤م)، مادة "جعل".

[٤٤] سورة الطلاق، الآية ٢.

[٤٥] انظر: القرطبي، محمد بن أحمد، **جامع الأحكام**، ج١٨، ص ١٥٩.

[٤٦] انظر: ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٣٢٤.

[٤٧] المرجع السابق، ج٢٩، ص ٣٢٤.

[٤٨] سورة الطلاق، الآية ٣.

[٤٩] انظر: **نفسه**، ج٢٩، ص٣١٣.

[٥٠] الطبري، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ط١، تحقيق: أحمد محمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة،٢٠٠٠م)، ج٤، ص٥٦١.

[٥١] سورة الطلاق، الآية ٥.

[٥٢] انظر: ابن منظور، أبو الفضل، جمال الدين، **لسان العرب**، ج١٥، ص٤٠٢.

[٥٣] ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٣٢٤.

[٥٤] انظر: "الخوف من الله"، www.alukah.net، اطّلع عليه بتاريخ ١٠-٦-٢٠١٨. بتصرّف. "مع الخوف والخائفين"، www.saaid.net، اطّلع عليه بتاريخ ١٠-٦-٢٠١٨. بتصرّف.

[٥٥] سورة الطلاق، الآية ١٠.

[٥٦] سورة الطلاق، الآية ١٠.

[٥٧] الزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف**، ج٦، ص١٥١.

[٥٨] سورة الطلاق، الآية ٧.

[٥٩] انظر: ابن عاشور، الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، ج٢٩، ص٣٣١.

[٦٠] انظر: الزمخشري، محمود بن عمرو، **الكشاف**، ج٦، ص١٤٩.

[٦١] الرضي الاستراباذي، محمد بن الحسن، **شرح الرضي لكافية ابن الحاجب**، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات، ط٢، (ليبيا: جامعة قاريونس، ١٩٩٦م)، ج٢، ص٤١١.

[٦٢] الأشموني، أبو الحسن، علي بن محمد بن عيسى، **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ج١، ص٩١.

[٦٣] الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، **البرهان في علوم القرآن**، ط١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧م)، ج٣، ص٣١٤.

[٦٤] القرطاجني، حازم بن محمد، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، ط٤، تحقيق: محمد الحبيب ابن الجوفة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، د. ت)، ص٢٣٣.

[٦٥] انظر: الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢٣، ص ٤٥٦.

[٦٦] الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات**، ط١، تحقيق: مشهور بن حسن، (القاهرة: دار ابن عفان، ١٩٩٧م)، ج٤، ص١٨٠.

[٦٧] الشاطبي، إبراهيم بن موسى بن محمد، **الموافقات**، ج٥، ص ١٤.

[٦٨] الصبان، محمد بن علي، **حاشية الصبان على شرح الأشمونى لألفية ابن مالك**، ط١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٧م)، ج١، ص٤٠١.

[٦٩] ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف، **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: محي الدين عبد الحميد، (المكتبة العصرية، ٢٠٠٨م)، ج١، ص٢٩٣.

[٧٠] ابن هشام، عبد الله جمال الدين بن يوسف، **أوضح المسالك**، ج١، ص٢٩٣.

[٧١] المرجع السابق، ج١، ص٢٩٤.

References المراجع

‘Ali, Moḥammad Yunus, *Moqadimah Fi ‘Ilm al-Dilālah Wa al-Takhāṭub*, (Beirut: Dār Al-Kitāb, 2007).

’Abu Ḥayyān Al-’andalusiy, Moḥammad Bin Yusuf, *al-Tazeel Wa al-Takmeel Fi sharḥ kitāb al-Tasheel*, 1st Edition, Taḥqiq: Ḥassan Hindāwi. (Damascus: Dār Al-Qalam, 1998).

’Abu Mūsā, Moḥammad Moḥammad, *Khaṣā’iṣ al-Tarākib: Dirāsah taḥliliyyah Li masā’il ‘Ilm al-Ma‘āniy*, 4th Edition, (Cairo: Maktabah Wahbah, 1996).

Al-’Alusiy, Shihāb al-Din Maḥmoud Bin ‘abd Allah, *Roḥ al-Ma‘āniy*, 1st Edition, (Beirut: Dār ’iḥiā’ al-Turāth al-‘arabi, 1415 AH).

Al-’ashmouniy, ’abu al-Ḥasan, ‘ali Bin Moḥammad Bin Isā, *Sharḥ al-’ashmuniy ‘alā ’Alfiyyat Ibn Mālik*, 1st Edition, (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1998).

Al-Baiḍāwiy, ‘abd Allah Bin ‘Omar Bin Moḥammad al-Shirāziy, *’anwār al-Tanziyl Wa ’asrār al-Ta’wiyl*, 1st Edition, Taḥqiq: Moḥammad ‘abd al-Raḥmān Al-Mara‘shiliy, (Beirut: Dār ’iḥiā’ al-Turāth al-‘arabi, 1418 AH).

Al-Farāhidi, Al-Khalil Bin ’ahmad, *Kitāb al-‘ain*, Tahqiq: Mahdiy Al-Makhzoumiy Wa Ibrahim Al-Sāmarrā’iy, (Beirut: Dār Wa Maktabah al-Hilāl, no date).

Al-Jarjani, ’abuBakr ‘abd al-Qāher, *Dalā’l al-’I‘jāz Fi ‘Ilm al-Ma‘āniy*, 3rd Edition, Taḥqiq: Maḥmoud Moḥammad Shāker, (Cairo: Maṭba‘ah al-Madaniy, 1992).

Al-Ṣabbān, Moḥammad Bin ‘ali, *Ḥāshiah al-Ṣabbān ‘alā Sharḥ al-’ashmuniy Li ’Alfiyat Ibn Malik*, 1st Edition, (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1997).

Al-Qirṭājaniy, Ḥāzem Bin Moḥammad Bin Ḥasan, *Minhāj al-Bulghā’ Wa Sirāj al-’Udabā’*, 4th Edition, Taḥqiq: Moḥammad al-Ḥabib Bin al-Joufah, (Beirut: Dār al-Gharb al-Islāmi, No date).

Al-Qurṭubi, Moḥammed Bin ’aḥmad, *al-Jāmi‘ Li ’aḥkām al-Qur’ān*, 2nd Edition, Taḥqiq: ’ahmad al-Bārdouniy, (Cairo: Dār al-Kutub al-Maṣriyyah, 1964).

Al-Raḍiy al-I’Utrābāziy, Moḥammad Bin al-Ḥasan, *Sharḥ al-Raḍiy Li Kāfiat Ibn al-Ḥājeb*, 2nd Edition, Taḥqiq: Yusof Ḥasan ‘Omar, (Bani Ghazi: Jāmi‘ah Qaryounis, 1996).

Al-Rāgheb al-’aṣfahāniy, ’abu al-Qāsim al-Ḥusein Bin Moḥammad, *al-Mufradāt Fi Gharib al-Qur’ān*, 1st Edition, Taḥqiq: Ṣafwān ‘adnān al-Dāoudi, (Beirut: Dār al-Qalam, 1412 AH).

Al-Rāziy, ’abu ‘abd Allah Moḥammad Bin ‘Omar, *al-Maḥṣūl*, 3rd Edition, Taḥqiq: Ṭaha Jāber al-‘alwāniy, (Beirut: Mu’assasah al-Resālah, 1997).

Al-Sakāki, ’abu Ya‘qub, Yusof Bin ’abi Bakr**,** *Miftāḥ al-‘Ulum*, 2nd Edition, ‘alaqa ‘alih: Na‘im Zarzour, (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1987).

Al-Shāṭebiy, Ibrāhim Bin Mūsā Bin Moḥammad, *al-Muāfaqāt*, 1st Edition, Taḥqiq: Mashhur Bin Ḥasan al-Salmān, (Cairo: Dār Ibn ‘Affān, 1997).

Al-Suyuṭiy, Jalāluddin, ‘abd al-Raḥmān Bin ’abi Bakr, *Huma‘ al-Hawāmi‘ Fi sharḥ jam‘ al-Jawāmi‘,* Taḥqiq: ‘abd al-Ḥamid Hindāwiy. (Cairo: al-Maktabah al-Tawqifiyyah, no date).

Al-Ṭabariy, ’abu Ja`far, Moḥammad Bin Jarir, *Jāmi‘ al-Bayān Fi ta’wil al-Qur’ān*, 1st Edition, Taḥqiq: ’aḥmad Moḥammad Shākir, (Beirut: Mu’assasah al-Resālah, 2000).

Al-Zamakhshariy, Maḥmud Bin ‘Amr, *al-Kashshāf ‘an ḥqā’iq ghawāmiḍ al-Tanzil*, 3rd Edition, (Beirut: Dār al-Kitāb al-ʿarabi, 1407 AH).

Al-Zarkashiy, Badr al-Din Moḥammad Bin ‘abd Allah, *al-Borhān Fi ‘Ulum al-Qur'ān,* 1st Edition, Taḥqiq: Moḥammad ’abu al-Faḍel Ibrāhim, (Cairo: Dār ’iḥiā’ al-Kutub al-‘arabi, 1957).

Ḥassān, Tamām, *al-Bayān Fi Rawā’i‘ al-Qur’ān*, 1st Edition, (Cairo: ‘ālam al-Kutub 1992).

Ibn ‘āshour, Moḥammad al-Ṭāhir Bin Moḥammad, *al-Taḥrir Wa al-Tanwer,* Tunisian Edition, (Tunisia: Dār Saḥnoun, 1997).

Ibn al-’atheer, Diyā’ al-Din, Naṣrallah Bin Moḥammad, *al-Mathal al-Sā’ir*, Taḥqiq: Moḥammad Muḥiyy al-Din ‘abd al-Ḥamid, (Cairo: al-Maktabah al-‘aṣriyyah, 1999).

Ibn al-Muthanna, ’abu ‘Ubaidah Mu‘ammar, *Majāz al-Qur’ān*, Taḥqiq: Fu’ād Sezkin, (Cairo: Maktabah Al-Khānji, no date).

Ibn Fāris, ʾaḥmed, *al-Ṣāḥbiy*, Maktabah al-Salafiyyah, (Cairo: Maktabah al-Salafiyyah, 1910).

Ibn Fāris, ʾaḥmed, *Maqāiyys al-Lughah*, Rāja‘ah Wa ‘allaq ‘alaiyh: ‘abd al-Salām Moḥammad Hāron, (Beirut: Dār al-Fikr, 1979).

Ibn Hishām al-’anṣāriy, ’abu Moḥammad, Jamāl al-Din, ‘abd Allah Bin Yusuf, *’awḍaḥ al-Masālek ’lā ’alfiyyat Ibn Mālik*, Taḥqiq: Moḥammad Moḥiyy al-Din ‘abd al-Ḥamid, (Beirut: al-Maktabah al-‘aṣriyyah, 1994).

Ibn Hishām al-'anṣāriy, 'abu Moḥammad, Jamāl al-Din, 'abd Allah Bin Yusuf, *Sharḥ al-Qaṭer al-Nadā Wa Balle al-Ṣadā,* 11th Edition, Taḥqiq: Moḥammad Moḥiyy al-Din 'abd al-Ḥamid, (Beirut: al-Maktabah al-'aṣriyyah, 1963).

Ibn Jenniy, 'abū al-Fatḥ 'Uthmān, *al-khaṣa'eṣ*, 4th Edition, Taḥqīq: Moḥammad 'ali al-Najjār, (Beirut: 'ālam al-Kutub, no date).

Ibn Katheer, 'abu al-Fida 'Isma`il Bin 'Omar, *Tafsir al-Qur'ān al-'aẓīm*, 1st Edition, Taḥqiq: Moḥammad Ḥusein Shams al-Din, (Beirut: Dār al-Kutub al-ʿIlmiyyah, 1999).

Ibn Manẓūr, Moḥammad Bin Makrim, *Lisān al-ʿarab*, 3rd Edition, (Beirut: Dār Ṣādir, 1414 AH).

Ibn Qutaybah, 'abd Allah Bin 'abd al-Majeed, *Ta'wil Mushkil al-Qur'ān*, 2nd Edition, Taḥqiq: al-Saiyyd 'aḥmad Ṣaqr, (Cairo: Dār al-Turāth, 1972).

Sībawiyh 'amr Bin Qumbur, *al-Kitab*, 1st Edition, Taḥqīq: 'abd al-Salām Moḥammad Hāroun, (Beirut: Dār Al-Jeel, no date).